القلب البلاغي

في

الحديث الشريف

إعداد

د / سامي بن سليمان بن زيد اليحيى

عضو هيئة التدريس بقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي

كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض

١٤٤٢هـ = ٢٠٢٠م

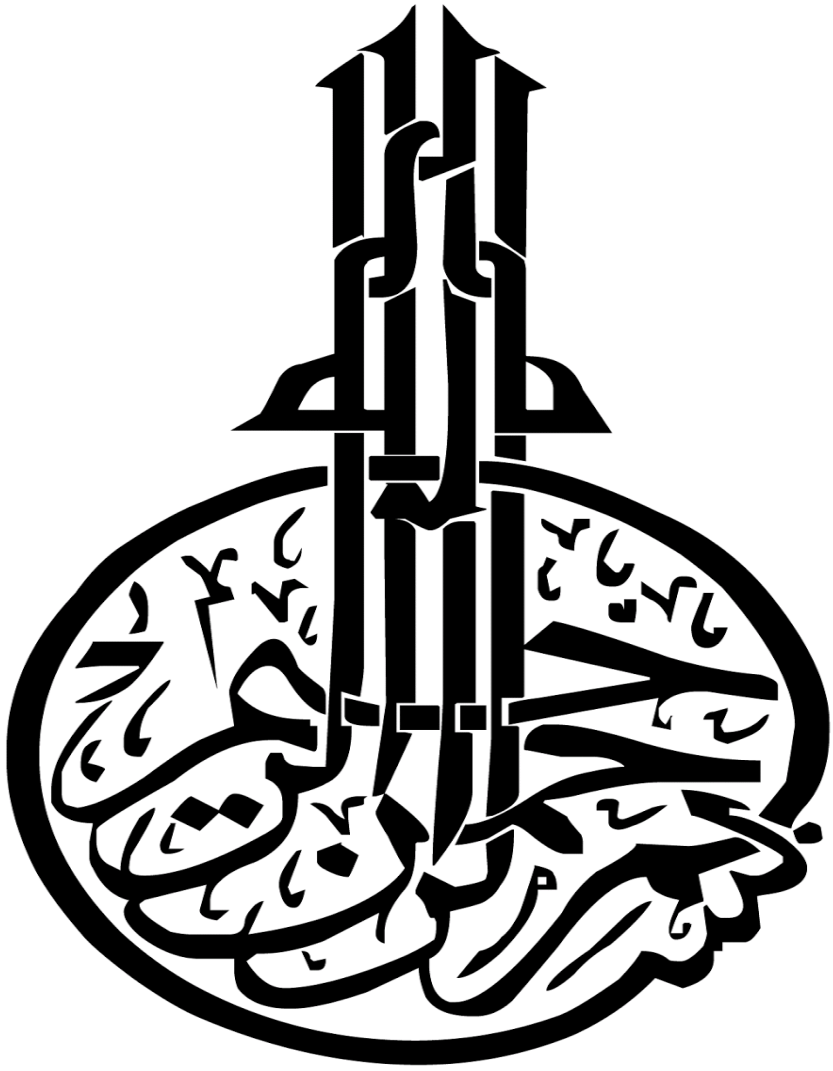

القلب البلاغي في الحديث الشريف

د. سامي بن سليمان بن زيد اليحيىٰ
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي -جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض
البريد الإلكتروني:
ssyahya@imamu.edu.sa

ملخص البحث

القلب لِبنةٌ من لبنات بناء اللغة، وسنةٌ من سننها، تنبّه لذلك علماء اللغة، فاعتنوا به دراسةً وبحثًا، وأصبح القلب مصطلحًا يتردد ذكره بين علومها الثلاثة: النحو، والصرف، والبلاغة، وتتنوّع تعريفاته تبعًا لتوزّع مباحثه بين تلك العلوم، وهو في علم البلاغة خاصة له أنماطٌ وصورٌ كثيرة، تتنوّع دراسته بين علومها الثلاثة، وهو في بعض تلك الصور ما هو معدودٌ من الظواهر الأسلوبية التي تُخرِج الكلام عن مقتضىٰ ظاهره، فتقع علىٰ مستوىٰ الإسناد أو التركيب؛ لتدلّ علىٰ عبقرية المتكلم، وعلىٰ الاقتدار في الكلام، والتفنّن في القول، وسعة اللغة ومرونتها، فتضفي علىٰ التعبير قوةً في المعنىٰ، وجمالًا في الإيقاع.

وقد وقع القلب في كلام الله تعالىٰ، وكلام رسوله - ﷺ -، ولا يقع فيهما إلا لاعتبارٍ لطيف، وسرٍّ بلاغيٍّ ظريف، وإلا حُمِل الكلام علىٰ ظاهره من غير قلب، وما هذه الدراسة العلمية إلا للوقوف علىٰ تلك الظاهرة الأسلوبية في كلام النبي - عليه الصلاة والسلام -، والكشف عن لطائفها البيانية، ومقاصدها البلاغية، وأبعاد تأثيرها علىٰ المتلقي، وكيف كان القلب أبلغ في إيصال الفكرة فيما لو جاء الكلام علىٰ ظاهره من غير قلب.

الكلمات المفتاحية: القلب البلاغي - أسلوب القلب - عن مقتضىٰ الظاهر

Rhetorical Metathesis in Hadith

Dr. Sami Sulaiman Zaid Alyahya
Department of Rhetoric, Criticism and Curriculum of Islamic Literature - Imam Muhammad bin Saud Islamic University in Riyadh
ssyahya@imamu.edu.sa

Abstract:

Metathesis is a cornerstone of Arabic language construction and one of its distinctive features. Linguists has observed that and paid it a considerable part of their study and research. Since then, metathesis has become a popular term in the fields of Grammar, Syntax, and Rhetoric. Accordingly, it is being defined differently in each field as per the aspects addressed. In the field of Rhetoric, metathesis has many types and representations and is being studied and treated differently in each of its three fields. In some of its representations, it is regarded as a stylistic phenomenon where speech is not analyzed explicitly. It is rather analyzed implicitly based on its context or structure signifying the genius of the speaker, his eloquence, and the richness of his language. Consequently, it adds to the strength and beauty of the word and its rhythm.

Rhetorical metathesis is found in the speech of Allah the Almighty and His messenger -peace be upon him-. Wherever it occurs, it is used for a subtle consideration and a rhetorical purpose. Otherwise, the speech is interpreted literally. The present study sheds light on such stylistic phenomena as manifested in the speech of the Prophet -peace be upon him-. It also aims at discovering its eloquent secrets, rhetorical purposes, its effects on the receiver, and how it makes the speech more subtle than direct words in delivering the idea.

Keywords: Rhetorical Metathesis, Style of Metathesis, Explicit analysis

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، صلىٰ الله وسلم وبارك عليه، وعلىٰ آله وصحبه، وبعد:

اللغة العربية لغةٌ واسعة، تتعدد دلالاتها تبعًا لتنوع أساليبها، وإذا كانت البلاغة مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال فإن عدول الكلام عن تلك المطابقة من البلاغة؛ إذا كان لأغراضٍ بلاغية، ومراعاةٍ لأحوال المخاطبين، وعلىٰ ذلكم النحو وقع عدولٌ في كلام الله، وكلام رسوله – ﷺ –، وكان ذلك ما دفعني للبحث في بستان النبوة، كلام أبلغ الخلق – ﷺ –؛ بالوقوف علىٰ أحد تلك الأساليب الخارجة عن مقتضىٰ الظاهر، الدَّالة علىٰ رجحان بلاغته عليه السلام، ودقة منطقه وبيانه، ألا وهو القلب في التركيب، الذي لم أجد – علىٰ أهمية هذا الموضوع، وكان سببًا لاختياره – من تناوله بدراسةٍ علميّةٍ في الحديث الشريف، وإظهار بلاغته فيه، فجاء موضوع هذا البحث بعنوان (القلب البلاغي في الحديث الشريف)؛ للوقوف علىٰ ذلكم الأسلوب الرفيع، وإبراز خصائصه، وجمالياته، وبراعة اختياره للألفاظ، وأثر دلالاته علىٰ المتلقي دون تكلّف، ولبيان أن معرفة علوم البلاغة العربية سبيلٌ لفهم الحديث الشريف، واستنباط الأحكام الشرعية، سواء وقع القلب في كلام الرسول أو كلام الراوي، وإفادة المكتبة البلاغية بهذا الموضوع الفريد، وفتْح الباب للباحثين في البلاغة النبوية بوجهٍ خاص، والبلاغة العربية بوجهٍ عام للتوسّع في هذا الموضوع، وإظهار قيمته البلاغية، ولطائفه البيانية.

وقد اعتمد الباحث علىٰ المنهج الاستقرائي، لاستقراء المواضع التي بيّن فيها شرَّاح الحديث وعلماء اللغة مواضع القلب في الحديث الشريف، وكذلك

المنهج الوصفي التحليلي لإبراز خصائص تلك التراكيب التي وقع فيها قلب، ودقائق معانيها، ومحكم مبانيها، ومحاسن بديعها.

وموضوع القلب البلاغي صعب؛ لحاجة الباحث في دراسته إلىٰ الدقة من جهتين، الأولىٰ من جهة الوصول إلىٰ موطن القلب في الكلام، والجهة الأخرىٰ التعرّف علىٰ المعاني والأغراض التي من أجلها وقع القلب، لا سيّما إذا كان البحث في كلام الله تعالىٰ، وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام.

وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة علىٰ النحو الآتي:

فالتمهيد: تضمن الحديث عن مفهوم القلب في اللغة والاصطلاح البلاغي، وأبرز تسمياته عند العلماء.

والمبحث الأول: كان عن القلب في مباحث البلاغة وملامح جماله، فتتبعت مواطن ذكر القلب في علوم البلاغة الثلاثة، وأوضحت المراد بالقلب في كل موطن، وموقف علماء النحو والبلاغة من القلب علىٰ المستوىٰ التركيبي.

والمبحث الثاني: جاء في عنوان التراكيب المقلوبة في الحديث الشريف، ورصدتُ فيه الأحاديث التي وقع في أحد تراكيبها قلبًا، وقسَّمتُ تلك الأحاديث إلىٰ قسمين بحسب من صدر منه لفظ القلب، إما من النبي – ﷺ –، أو غيره كراوي الحديث، أو صحابي آخر.

والمبحث الثالث: كان في التحليل البلاغي لأحاديث مختارة، وعددها عشرة أحاديث، ستةٌ منها وقع القلب في كلام الرسول – ﷺ –، والأربعة الباقية في كلام الراوي أو الصحابي؛ وكان اختيار هذه العشرة بناءً علىٰ إجماع العلماء بوقوع القلب في الحديث، أو اختيار أكثرهم.

أما الخاتمة: فقد لخصت فيها أبرز النتائج والتوصيات.

وإني أحمد الله تعالىٰ وأشكره وأثني عليه الخير كله أن وفقني لهذا العمل، ويسّر لي جمع مادته، ثم أثني الشكر لمن شجّعني علىٰ الكتابة في هذا الموضوع، فأفادني برأيه، وأتحفني بملحوظاته التي كان لها أثرٌ في تقويم البحث، وهو فضيلة أستاذي الدكتور: عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، عضو هيئة التدريس في كلية اللغة العربية بقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فجزاه الله خير الجزاء، ونفع بعلمه، وبارك في عمره.

وإني لأسأل الله أن يسددني في القول والعمل، ويجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، إنه جواد كريم، وبالإجابة جدير، والله أعلم، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

القلب في اللغة والاصطلاح:

مادة (قلب) ومشتقاتها تأتي للدلالة علىٰ معانٍ كثيرة، منها: قَلْب الشيء، وصرفه عنه، وتحويله عن وجهه الذي يريده، وقَلَبتُ الشيء أي: كَبَبْته، وقلَّبْته بيدي، ورددتُه من جهةٍ إلىٰ جهة، وفي تلكم الدلالات جاء قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ (التوبة ٤٨)، أي: صرفوها من أمرٍ إلىٰ أمر، ونظروا في عواقبها، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا يَغُرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ (غافر ٤)، أي: تصرُّفهم فيها كيف شاؤوا، وقولهم: قَلَبتُ الثوب أي: رددته من جهة إلىٰ جهة[1].

وأما القلب في الاصطلاح[2] فهو:

---

[1] ينظر: لسان العرب، ابن منظور، اعتنىٰ بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤١٩ه/ ١٩٩٩م)، مادة (قلب)، (١١/ ٢٦٩).

[2] وأعني بذلك عند البلاغيين الذي يقع في الإسناد، ويعدّونه خروجًا عن مقتضىٰ الظاهر، ووجهًا من وجوه بلاغة المتكلم؛ لأن مباحث القلب مُوزّعةٌ بين مصنّفات البلاغيين – كما سيأتي بيانه لاحقًا – والنحويين والصرفيين، وهي عند الأخيرَين يُعنون به أوجهًا متعددة، فالنحويون اهتمامهم بالقلب في بنية الجملة، ويكون بأحد أمرين: بتقديم ما حقه التأخير، وتأخير ما حقه التقديم فقط دون الحكم، أو قلب الإعراب، فمع التقديم والتأخير يكون التبادل في الحكم، وأما الصرفيون فاهتمامهم بالقلب في بنية الكلمة، ويكون بالقلب المكاني بين حروف الكلمة بتقديم حرف علىٰ آخر، أو الإعلال بالقلب بإبدال حرف علة بحرف علة آخر، أو يقع القلب بإبدال حرف وإقامة حرف آخر مكانه، ويسمونه (الإبدال).

ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لأبي الحسين أحمد بن فارس الرازي، تحقيق الدكتور: عمر فاروق الطبّاع، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤١٤ه/ ١٩٩٣م)، ص (٢٠٨)، وظاهرة القلب المكاني في العربية، عللها وأدلتها

"أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر، والآخر مكانه علىٰ وجهٍ يثبت حكم كل منهما للآخر"[1].

ومن هذا التعريف الاصطلاحي للقلب البلاغي يُستنبط له ثلاثة ضوابط:

الأول: وضع أحد أجزاء الكلام موضع الآخر في ترتيبه من الجملة.

الثاني: قلب الإعراب، وهو أخذ كل منهما حكم الآخر وموقعه الإعرابي.

الثالث: تغيّر صورة التركيب ودلالته إلىٰ غير التي كان عليها قبل القلب.

وفي ضوء ما سبق يخرج عن مفهوم القلب ما وقع في تركيب الكلام تبادلًا بين جزأين من أجزائه، ولم يثبت حكم كل منهما للآخر، كالتقديم والتأخير، والبناء لِمَا لم يُسمَّ فاعله، ففي قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾ (الغاشية ٢٥) تقديم وتأخير بين اسم إنَّ وخبرها، وبقيَ المقدَّم علىٰ حكمه وهو (إلينا)، والمؤخَّر كذلك وهو (إيابهم)، وفي قوله تعالىٰ: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء ٢٨) حُذِف الفاعل، وأقيم المفعول به (الإنسان) مقامه، فجرىٰ عليه أحكامه.

ولمصطلح القلب البلاغي تسميات أخرىٰ، فبعض العلماء يُسميه تحويلًا، وآخرون يسمّونه عكسًا، فاستعمال لفظ التحويل مرادفًا للقلب نجده عند أبي العباس المبرد في قوله: "وممَّا في القرآن مما يجيء مثله في كلام العرب من

وتفسيراتها وأنواعها، للدكتور: عبد الفتاح الحموز، دار عمَّار، عمَّان، الطبعة الأولىٰ، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص (١٣-١٤)، وظاهرة القلب في الإعراب مفهومها، أنماطها، أثرها في معنىٰ التركيب، د. علي بن أحمد الكبيسي، ضمن بحوث مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، الدوحة، العدد السابع، (١٩٩٥م)، ص (١٦).

[1] شروح التخليص، دار الكتب العلمية، بيروت، (١/ ٤٨٧).

التحويل، كقوله: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ (القصص ٧٦)، وإنما العُصبة تنوء بالمفاتيح، ومن كلام العرب: إن فلانةً بها عجيزتها، ويقولون: أدخلتُ القُلنسوة في رأسي، وأدخلت الخفَّ في رجلي..."[١].

وأما لفظ العكس فنجده مرادفًا للقلب عند القاضي البيضاوي في تفسيره لقول الله تعالىٰ: ﴿ كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ (الكهف ٤٥)، فقال: "فالتفَّ بسببه، وخالط بعضه بعضًا من كثرته وتكاثُفه، أو نجعَ في النبات حتىٰ روِيَ ورفَّ، وعلىٰ هذا كان حقه فاختلط بنبات الأرض، لكنه لما كان كل من المختلطَين موصوفًا بصفة صاحبه عُكِس؛ للمبالغة في كثرته"[٢]، قال الخفاجي في حاشيته مبيِّنًا قول البيضاوي: "والمراد بالعكس في كلامه القلب؛ لأنه يستعمل بمعناه"[٣].

**** *** ***

[١] ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، دراسة وتحقيق الدكتور: أحمد محمد سليمان أبو رعد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولىٰ، (١٤٠٩ه/ ١٩٨٨م)، ص (٨٤).

[٢] تفسير البيضاوي، للقاضي أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، حققه وخرّج أحاديثه: محمد صبحي بن حسن حلّاق والدكتور: محمود أحمد الأطرش، دار الرشيد، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢١ه/ ٢٠٠٠م)، (٢/ ٣٤١).

[٣] حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي علىٰ تفسير البيضاوي، لشهاب الدين أحمد الخفاجي، الخفاجي، دار صادر، بيروت، (٦/ ١٠٥).

المبحث الأول
القلب في مباحث البلاغة وملامح جماله

أسلوب القلب من الظواهر الأسلوبية الأصيلة في العربية، وسنة من سننها الدالة علىٰ عبقرية اللغة العربية في عرضها للمعنىٰ، وكشفها عن جماله، وهو من الأساليب الجارية علىٰ ألسنة العرب، فاستثمَره شعراؤهم وأدباؤهم في إنتاجهم الأدبي، فكان مظهرًا من مظاهر تفنّنهم في القول، وتصرّفهم فيه.

والقلب لبنةٌ من لبنات بناء اللغة، له أنماط وصور كثيرة، كشف عنها علماء اللغة والنحو والصرف والبلاغة، وله في علم البلاغة - بوجهٍ خاص - صورٌ متعددة، تتنوع دراسته بين علومها الثلاثة، وهو في بعض تلك الصور نوعٌ من إخراج الكلام عن مقتضىٰ الظاهر، الذي يورث الكلام لطافةً وملاحة، وفي معناه قوة، وفي إيقاعه جمالًا، ولبنات هذا البحث متعلّقةٌ بصورةٍ واحدةٍ من صور القلب في البلاغة، وهو ما كان داخلًا في علم المعاني فقط، المهتمّ بما خرج خلافًا لمقتضىٰ الظاهر.

ولأننا في صدر المباحث رأيت أنَّ من الـمُستحسَن إلقاء نظرةٍ شاملة، ولمحةٍ موجزة عن أسلوب القلب في المصنّفات البلاغية، وبيان مواطن ذكره وتردّده ضمن مباحث علوم البلاغة الثلاثة، وذلك علىٰ النحو الآتي:

أولًا: علم المعاني:

تتمثّل دراسة أسلوب القلب في هذا العلم في البناء للجملة العربية وعلىٰ مستوىٰ التركيب، وله فيه صورتان:

الصورة الأولىٰ: قلب الإسناد[1]: وهو ما كان واقعًا في الإسناد أو التركيب، وخارجًا عن مقتضىٰ الظاهر؛ بسببٍ جعل المتكلم أحد أجزاء الكلام مكان جزءٍ

[1] وهو ما نحن بصدد دراسته وبحثه في مجال الحديث النبوي الشريف.

آخر، والآخر مكانه، مع ثبوت حكم كل واحدٍ منهما علىٰ الآخر، وعرَّف الزركشي قلب الإسناد بقوله: "أن يشملَ الإسناد إلىٰ شيءٍ والمراد غيره"[1]، وهذا النوع من القلب يُفرِد له البلاغيون المتأخرون مبحثًا تحت باب (خروج الكلام عن مقتضىٰ الظاهر)، وهو علىٰ قسمين، الأول: قلب لفظي: وهو "أن يكون الداعي إليه من جهة اللفظ، بأن تتوقف صحة اللفظ عليه، ويكون المعنىٰ تابعًا"[2]، كأن يكون لديك في الجملة فاعل ومفعول، وتضع كل واحدٍ منهما في مكان الآخر ورتبته من الجملة، مع بقاء كل منهما علىٰ ما هو له من الفاعلية أو المفعولية، وهذا النوع يهتمّ به النحاة، والثاني: قلب معنوي: "وهو أن يكون الداعي للقلب من جهة المعنىٰ؛ وذلك لتوقّف صحته عليه، ويكون اللفظ تابعًا"،[3] وهو كالقلب اللفظي في أخذ كل جزءٍ من الكلام مكان الآخر ورتبته من الجملة، إلا أن هذا النوع يضاف إليه أخذ كل واحدٍ من الجزأين دلالة الآخر التي يدل عليها من الفاعلية أو المفعولية علىٰ سبيل خروج الكلام عن مقتضىٰ الظاهر، وهذا النوع هو مدار اهتمام البلاغيين؛ للبحث في لطائف ذلك الخروج عن الظاهر، وهو مثار خلافٍ بين البلاغيين والنحويين كما سيأتي بيانه.

---

[1] البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولىٰ، (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م)، (٣/ ٢٨٨).

[2] علم المعاني، د. بسيوني فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، (١٤١٩ه/ ١٩٩٨م)، (١/ ٢٤٤).

[3] علم المعاني، (١/ ٢٤٣).

الصورة الثانية: قصر القلب: وهو "تخصيص أمرٍ بصفة مكان أخرىٰ، وتخصيص صفةٍ بأمرٍ مكان آخر"[1]، وذلك إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي أثبته المتكلم، وما جاء نحو هذه الصورة لا يُعدّ من الأساليب الخارجة عن مقتضىٰ الظاهر.

ثانيًا: علم البيان:

قد يحتاج المتكلم لبيان مراده والكشف عن حقائق كلامه وسائل تقريبية من خلال تصوير المعنىٰ، وتجسيده حسيًّا أمام المخاطب، وهو في هذا قد يقلب الصورة لتخالف حقائق الأشياء، فتزيد الكلام بلاغةً وطرافة، وهذا القلب في الصورة قد كشف عنه البلاغيون أثناء حديثهم عن (قلب التشبيه)، "وهو أن يُجعَل المشبه به مشبّهًا، والمشبه مشبّهًا به"[2].

ثالثًا: علم البديع:

قد يقع القلب أحيانًا في الإيقاع الداخلي للنص، وذلك في أحد محسِّنيه اللفظي والمعنوي، وهذا النوع من القلب قد أوضحه البلاغيون أثناء بيانهم للفنون البلاغية الداخلة ضمن المحسنات اللفظية، والمحسنات المعنوية.

---

[1] الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، (٣/ ١٥)، وينظر: جماليات القلب في البلاغة العربية، للأستاذ الدكتور: صالح بن سعيد الزهراني، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد التاسع عشر، جمادىٰ الأولىٰ، (١٤١٨ه)، (٣٧٩-٣٨٨)، والقلب عند البلاغيين والنحاة العرب، للأستاذ الدكتور: عيد محمد شبايك، دار حراء، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، (١٤١٩ه/ ١٩٩٨م)، (٢٤-٤٤).

[2] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (١٤٢٠هـ)، (٢/ ١٢٥).

ففي المحسنات اللفظية يأتي القلب فيها بوصفه فنًّا من فنون البديع اللفظية، وضابطه "أن يكون الكلام بحيث لو عكست قراءته الأولىٰ بأن بدأت بحرفه الأخير ثم بما يليه ... كان الحاصل من ذلك العكس هو هذا الكلام بعينه"[1].

كما يظهر مصطلح القلب في البديع اللفظي من كونه أحد أنواع الجناس غير التام، ويسمىٰ (جناس القلب)، وذلك إذا اختلف اللفظان المتجانسان في ترتيب الحروف، واتَّحدا في النوع والعدد والهيئة، لكن في أحد اللفظين قُدِّمت بعض الحروف وأُخِّرت في اللفظ الآخر[2].

وأما في المحسنات المعنوية فإن للقلب فيها محلٌّ وذِكر، إذ عُدَّ أحد المحسّنات المعنوية، وهو ما أطلق عليه البلاغيون بـ(العكس والتبديل)، وهو "أن يُقدِّم جزءً من الكلام علىٰ جزءٍ آخر، ثم يؤخِّر ذلك المقدّم علىٰ الجزء المؤخَّر"[3].

ولـمَّا كانت القيمة الشعرية للشاعر لا تبرز إلا في ضوء ما يأتي به من معانٍ جديدة، أو صورٍ فنية مبتكرةٍ أو نادرة، حرص بعض الشعراء علىٰ ذلك؛ ليكون له فضل السَّبق، ولـمَّا أراد اللاحق من الشعراء أن يكون له فضلٌ في السبق كذلك قصد إلىٰ أخذ تلك المعاني والصور الجديدة، وأخرجها في قالبٍ جديد من خلال القلب للمعنىٰ؛ رغبةً أن يكون له فضلُ تميّز وسَبق، وما هذا الصنيع من اللاحق إلا داخل في إطار موضوع (السرقات الشعرية)، الذي ألحقه البلاغيون ضمن موضوعاتهم البلاغية في ختام حديثهم عن المحسنات اللفظية

---

[1] شروح التلخيص، (٤/ ٤٥٩).

[2] شروح التلخيص، (٤/ ٤٢٨).

[3] المصدر السابق، (٤/ ٣١٨).

والمحسنات المعنوية،[1]، وقسموا تلك السرقات إلىٰ قسمين: سرقة ظاهرة، وسرقة غير ظاهرة، ولغير الظاهرة أنواع، منها ما يُسمىٰ بـ(قلب المعنىٰ)، "وهو أن يكون معنىٰ الثاني نقيض معنىٰ الأول"[2].

موقف العلماء من القلب:

وأعني بذلك القلب اللغوي الذي علىٰ المستوىٰ التركيبي، واختلف البلاغيون والنحويون في قبوله ورفضه، وهم في ذلك علىٰ اتجاهين:

الاتجاه الأول: اتجاه الرفض: وسبب رفضهم أن الغاية من البيان هو الإفهام والإمتاع، والقلب يناقض ذلك، إضافةً إلىٰ أن القلب في التركيب بين أجزاء الكلام يُسبِّب أحيانًا تعميةً في المعنىٰ، ولبسًا في الدلالة، وتشويشًا علىٰ السامع في الوصول إلىٰ المعنىٰ؛ لأن الكلام صُرف عن وجهه الصحيح، فجاء عكسًا للمطلوب، وخلافًا للمقصود[3]، ومن أصحاب هذا الاتجاه فعدّوا القلب عيبًا في

---

[1] وقد قال الخطيب القزويني في صدر مقدمة كتابه الإيضاح: "أما بعد: فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها"، ولعله يقصد بتوابعها علم البديع، والكلام في السرقات الشعرية وما يتصل بها. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، (١/ ١٦).

[2] علم البديع، للدكتور: بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الثانية، (١٤١٨ه/ ١٩٩٨م)، ص (٣٣٠). ولمزيد من التوسع والبيان في مباحث القلب في المنصفات البلاغية ينظر: جماليات القلب في البلاغة العربية، (٣٧٩-٤١٢)، والقلب عند البلاغيين والنحاة العرب، (٢٤-١١٣).

[3] ينظر: جماليات القلب في البلاغة العربية، ص (٣٧٩)، والإنصاف في المصطلحات البلاغية المنفية من القرآن، أ.د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولىٰ، (١٤٣٧ه/ ٢٠١٦م)، ص (١٧).

الكلام: سيبويه[١]، وقدامة بن جعفر[٢]، وابن سنان[٣]، وحازم القرطاجني الذي قال: "كل كلامٍ يمكن حمله علىٰ غير القلب بتأويلٍ لا يبعد معناه فليس يجب حمله علىٰ القلبِ، ... وحمل الكلام علىٰ القلب في غير القرآن إذا أمكن حمله علىٰ الاستقامة تعسّفٌ شديد، فكيف في الكتاب العزيز"[٤].

الاتجاه الثاني: اتجاه القبول: وذلك إذا تضمَّن اعتبارًا لطيفًا، وله غايات تسوِّغ قبوله، ومحاسن بلاغية، وقيمٌ فنية ترجِّح قبوله، ولم يكن عائقًا في طريق الفهم والإدراك، وإلا كان قبيحًا مسترذلًا مرفوضًا؛ وسبب قبولهم له أنه من أساليب العرب، ومجازاتهم في الكلام، وسننها في القول، ولكونه ثابتٌ في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر العربي[٥]، وهو دلالةٌ علىٰ سعة اللغة، وقدرتها علىٰ التنوع في التعبير، ولأن المتكلم يصل به إلىٰ كمال البلاغة، ومن أصحاب هذا الاتجاه أبو زكريا الفراء[٦]، وأبو يعقوب السكاكي الذي قال مبيِّنا

---

[١] ينظر: الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبَر الملقب بسيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، (١٤٠٨ه/ ١٩٨٨م)، (١/ ١٨١).

[٢] ينظر: نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق الدكتور: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص (٢٠٩).

[٣] ينظر: سر الفصاحة، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص (١١٤).

[٤] منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لأبي الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٩٨٦م)، ص (١٨٣).

[٥] ينظر: الصاحبي في فقه اللغة، ص (٢٠٨)

[٦] معاني القرآن، لأبي زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولىٰ، (٢/ ١٣٣، ١٦٤).

سبب قبوله: "وإن هذا النمط مسمًّىٰ فيما بيننا بالقلب، وهي شعبةٌ من الإخراج لا علىٰ مقتضىٰ الظاهر، ولها شيوعٌ في التراكيب، وهي مما يورث الكلام ملاحة، ولا يشجع عليها إلا كمال البلاغة، تأتي في الكلام، وفي الأشعار، وفي التنزيل..." [1]، واختار هذا الاتجاه كذلك الخطيب القزويني، وشرّاح التلخيص[2]، قال الخطيب في معرِض كلامه عن الأساليب التي تخرج خلافًا لمقتضىٰ الظاهر ومنها القلب: "والحق أنه إن تضمَّن اعتبارًا لطيفًا قُبِل، وإلا رُد"[3].

ولسائلٍ: كيف تَعدُّ أبا يعقوب السكاكي ممن قبِل القلب بشرط تضمُّنه اعتبارًا لطيفًا وقد نقل عنه الخطيب القزويني أنه قَبِله مطلقًا وإن لم يتضمّن اعتبارًا لطيفًا في قوله: "ومنه القلب - أي من خلاف مقتضىٰ الظاهر - كقول العرب: (عرضتُ الناقة علىٰ الحوض)، ورده مطلقًا قوم، وقبله مطلقًا قوم منهم السكاكي، والحق أنه إن تضمَّن اعتبارًا لطيفًا قُبل وإلا رد"[4]؟ فأقول: يُجاب عن هذا التساؤل بما نقله فضيلة أستاذنا الدكتور عبد المحسن العسكر عن أحد شرَّاح الإيضاح، ومن كبار تلامذة سعد الدين التفتازاني وهو حيدر بن محمد الخَوَافي (٨٣٠هـ)، قائلًا: "هذا الذي نقله المصنِّف - أي القزويني - عنه - أي: عن السكاكي - أنه قبِل القلب مطلقًا وهْمٌ من المصنِّف؛ فإن السكاكي أرسخ في معرفة دقائق العربية من أن يقبل القلب من غير نكتة؛ إلَّا أن المصنِّف لـمَّا لم

---

[1] مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م)، ص (٢٠٩).

[2] ينظر: شروح التخليص، (١/ ٤٨٧)

[3] الإيضاح في علوم البلاغة، (٢/ ٩٨). شروح التخليص، (١/ ٤٨٧).

[4] الإيضاح في علوم البلاغة، (٢/ ٩٨). شروح التخليص، (١/ ٤٨٧).

يطَّلع علىٰ النكتة في بعض الأمثلة التي ذكرها السكاكي زعم أنه مقبولٌ عنده مطلقًا، وكيف يقول عاقل: إن خلاف المقصود ونقيض المطلوب من غير نكتة مقبول؟!"[1].

ملامح الجمال في القلب:

فن القلب واحد من الفنون البلاغية التي تخرج في بعض أحوالها عن مقتضىٰ الظاهر؛ مراعاةً للحال، وفي الوقت ذاته تهدِف إلىٰ التأثير في المخاطب، لتصل إليه الفكرة بكل وضوح.

وملامح الجمال في القلب ووجوه حُسنه كثيرة، وهي ما بين أوجهٍ عامة تنطبق علىٰ كل أمثلة القلب وشواهده، وأوجهٍ خاصةٍ تنطبق علىٰ أمثلةٍ وشواهد دون أخرىٰ.

فمن تلك الملامح ما يأتي:

١- "يورث الكلام ملاحة، ولا يشجع عليها إلا كمال البلاغة"[2].

٢- الدلالة علىٰ سعة اللغة، ومرونتها.

٣- الكشف عن عبقرية المتكلم، وكمال بلاغته؛ بقدرته علىٰ التنوّع في أساليب التعبير.

٤- إعطاء الكلام قوةً في المعنىٰ، وجمالًا في المبنىٰ.

٥- الإيجاز والاختصار، وذلك في بعض المواطن دون أخرىٰ، يظهر ذلك عند المبرد حين تعرَّض للقلب في كتابه الكامل، واشترط لحُسنِه شرطًا، فقال: "وقال الفرزدق، ونزل به ذئبٌ فأضافه:

---

[1] الإنصاف في المصطلحات البلاغية المنفية من القرآن، ص (٢٠)، وذكر مؤلفه أن كتاب حيدر الخوافي اسمه الإفصاح في شرح الإيضاح، وقد حُقِّق في رسائل علمية، ولم يُطبَع بعد.

[2] مفتاح العلوم، ص (٢٠٩).

وأطْلس عسَّالٍ وما كان صاحبًا، رَفعتُ لناري مَوْهِنًا فأتاني[1]

.... وقوله: (رفعتُ لناري) من المقلوب، إنما أراد رفعتُ له ناري، والكلام إذا لم يدخله لَبسٌ جاز القلب للاختصار"[2].

٦- **المبالغة**: قال أبو إسحاق الزَّجّاج: "وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ (الأنبياء ٣٧)، قال أهل اللغة: المعنىٰ خُلِقَتِ العَجَلَةُ من الإنسان، وحقيقته يدل عليها، (وكان الإنسانُ عَجُولًا)، وإنما خوطبت العرب بما تعقل، والعرب تقول للذي يكثر الشيء: خُلِقْتَ منه، كما تقول: أنْتَ مِنْ لَعِبٍ، وخُلقت من لعبٍ، نريد المبالغة بوصفه باللعب"[3].

وقد تظهر في بعض أمثلة القلب وشواهده ملامح أخرىٰ ووجوهٌ حسنةٌ بحسب المقام، وحالة كل متكلم ومخاطب.

---

[1] ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدَّم له الأستاذ: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤٠٧ه/ ١٩٨٧م)، ص (٢٦٨).

[2] الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، (١/ ٢٩٠).

[3] معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، (٣/ ٣٩٢).

المبحث الثاني

التراكيب المقلوبة في الحديث الشريف

البلاغة واحدةٌ من أهم علوم اللغة العربية علىٰ الإطلاق، وهي الأساس لبناء أيّ نصٍّ شفوي أو كتابي، والمنطلَق ليكون سليم المبنىٰ والمعنىٰ، إضافةً إلىٰ الجمال الذي تضفيه عليه؛ بسبب حسن الاختيار للأساليب، والانتقاء للكلمات بما يتناسب مع مقتضىٰ الظاهر وحال المخاطب، بل إن من البلاغة في بعض الأحوال أن يعدِل المتكلم عن مراعاة ما يقتضيه الظاهر وحال المخاطب! بما يناسب المقام؛ لأن البلاغة قائمة علىٰ التأثير، ومن وظائفها إيصال الأفكار والمعاني بأكمل وجه، مع إضافة الجماليّات عليها لزيادة التأثير، ومن تلك الأساليب البلاغية، والفنون الجمالية التي تترك أثرًا لدىٰ المخاطب، وتمدّه باعتبارات لطيفه، ومزايا حسنه، ودلائل واسعة أسلوب القلب الذي جرىٰ علىٰ ألسنة العرب، فكان مظهرًا من مظاهر تفنّنهم بالقول، ودلالةً علىٰ فطنتهم، وقدرتهم البلاغية في التقليب بين الأساليب، وملمحًا من ملامح الجمال في الكلام.

وباللسان العربي، وبلغة العرب نزل القرآن الكريم، فكان كل ما في كلام العرب من فنون القول المختلفة ومن وجوه التعبير عن المعاني هو في القرآن الكريم، فكان عربيًّا في ألفاظه وأساليبه، ونظمه وتراكيبه، قال ابن قتيبة رحمه الله: "القرآن نزل علىٰ النبي – ﷺ – بمذاهب العرب كلها"،[1]، وقال أبو زيد القرشي:

---

[1] تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ص (٥٥).

"وفي القرآن مثل ما في كلام العرب من اللفظ المختلف، ومجاز المعاني"[1]، ولـمَّا كان أسلوب القلب من الخصائص التعبيرية والأساليب البلاغية في القرآن الكريم فطِن لهذا علماء اللغة والبلاغة الأوائل، وعقدوا مبحثًا خاصًا بالقلب في القرآن الكريم، فكشفوا عن لطائفه البيانية، وقيمته الفنية والجمالية التي ينطوي عليها، مُعزِّزين كل ذلك بالشاهد القرآني، والجيد من كلام العرب[2].

والكلام النبوي ليس بمنأىٰ عن ذلك، فإذا كان القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب، وسار وفق أساليبهم فلا ريب أن يتأثر به من أُنزِل عليه، فتتربّىٰ به ملكته البلاغية، وتنبغ شخصيته البيانية، فكان حسن المنطق والبيان، واحتلّت بلاغته مكانةً سامية، ومنزلةً رفيعة، لا يحيط بها واحدٌ من البشر، وكان من بلاغته – عليه الصلاة والسلام – وأساليبه أسلوب القلب، فيتكلم بكلامٍ يضع فيه أحد أجزائه مكان الآخر، والآخر مكانه، فيتّصف كل واحدٍ منهما صفة الآخر، مع الأخذ لحكمه، خلافًا للأصل، وتحقيقًا لما يقتضيه الحال، كما أنه لا ريب أن يتأثر بكلام النبي – ﷺ – جلساؤه من صحابته ورواة حديثه رضي الله عنهم أجمعين.

والأحاديث التي وقع فيها هذا النوع من الأساليب كثيرة، وقد قمتُ باستقرائها وتتبُّعها في الصحيحين وغيرهما، مستعينًا بشروح علماء الحديث، فتوصّلتُ إلىٰ ستةٍ وعشرين حديثًا، ثلاثة عشر حديثًا وقع فيها القلب في كلام النبي ﷺ، والباقية في كلام الراوي، أو صحابيٍّ آخر، وفيما يأتي سأذكر جميع تلك الأحاديث التي

---

[1] جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، حققه وضبطه: علي البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (١٢).

[2] كتب الدكتور: مصطفىٰ السيد جبر بحثًا بعنوان: القلب البلاغي في القرآن الكريم بين المجيزين والمانعين، من إصدار مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة.

وقع فيها القلب، مُصدِّرًا قبل ذكري للحديث بالشاهد فيه، وهو التركيب المقلوب صراحةً، أو ما قيل فيه بالقلب[1]، وذلك علىٰ النحو الآتي:

أولًا: ما وقع القلب في الحديث وكان من كلام النبي ﷺ:

١- (أبْردُوا عن الصلاة).

عن أبي هُرَيْرَة - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - قال: "**أَبْرِدُوا عن الصَّلَاةِ**، فإنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ"[2].

٢- (إخْوانُكم خَوَلُكُم).

عن المَعرُور بن سُوَيْد قال: لَقِيتُ أبا ذَرٍّ بالرَّبَذَة، وعليه حُلَّةٌ، وعلىٰ غُلامه حُلَّةٌ، فسألْتُهُ عن ذلك، فقال: إنِّي سَابَبْتُ رجلًا فَعَيَّرْتُهُ بأمِّه، فقال لي النَّبي ﷺ: "يا أبا ذَرٍّ! أَعَيَّرْتَهُ بأمِّه؟ إنَّك امْرُؤٌ فيك جاهليَّة، **إخْوَانُكُمْ خَوَلُكُم**، جعلهم اللهُ تحت أيديكُم، فمن كان أخوهُ تحت يده فليُطعمْهُ ممَّا يأكل، ولْيُلبِسْهُ ممَّا يَلبَس، ولا تُكَلِّفُوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ، فإنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فأعِينُوهُم"[3]، وعند مسلم بلفظ: "إخوانُكم وخَوَلُكم"[4].

٣- (إذا حَكَمَ الحاكم فاجْتهد).

عن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أَنَّهُ سَمِع رسول الله - ﷺ - يقول: "**إذا حَكَمَ الحَاكِمُ فاجْتَهَدَ** ثُمَّ أصاب فلَهُ أَجْرَانِ، وإذا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فلَهُ أَجْرٌ"[5].

---

[1] لأن بعض الأحاديث اختلف العلماء في وقوع القلب فيها.

[2] صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، إشراف ومراجعة الشيخ: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، (١٤٢١ه/ ٢٠٠٠م)، (٦١٥).

[3] صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، إشراف ومراجعة الشيخ: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، (١٤١٩ه/ ١٩٩٩م)، (٣٠).

[4] صحيح مسلم، (١٦٦١).

[5] صحيح البخاري، (٧٣٥٢)، صحيح مسلم (١٧١٦).

٤- (أصابَ اللهَ بك).

عن قتادة عن أنس بن مالك لَعَلَّهُ قال: عن مالكِ بن صَعْصَعَةَ، - رجل من قومه - قال: قال نبيُّ اللهﷺ : "بَيْنَا أنا عند البيت بين النَّائم واليَقظان، إذ سَمعتُ قائلًا يقول: أحدُ الثَّلاثة بين الرَّجُلين، فأُتِيتُ فانطُلِقَ بي، فأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فيها مِنْ ماء زمزم، فَشُرِحَ صَدري إلىٰ كذا وكذا - قال قتادة: فقلتُ للَّذي مَعي: مَا يَعْنِي؟ قال: إلىٰ أَسْفَل بَطْنه - فاسْتُخْرِجَ قلبي، فَغُسِلَ بماء زمزم، ثُمَّ أُعِيدَ مكانه، ثُمَّ حُشِيَ إيمانًا وحِكمةً، ثُمَّ أُتِيتُ بدابَّةٍ أبيض، يُقال له: البُرَاقُ، - فوق الحِمار ودونَ البَغْل، يقعُ خَطْوُهُ عند أقصىٰ طَرفِه -، فحُمِلْتُ عليه، ... وحَدَّثَ نَبِيُّ الله - ﷺ - أَنَّهُ رَأىٰ أربعةَ أَنْهارٍ يخرجُ مِن أصلِهَا نَهْران ظاهِران، ونَهْران باطِنَان، فقلتُ: يا جِبْريل، ما هذه الأنهار؟ قال: أَمَّا النَّهْرَانِ الباطِنَان فَنَهْرَان في الجَنّة، وأمَّا الظَّاهِرَان: فالنِّيلُ والفُرات، ثُمَّ رُفِعَ لي البيتُ المعْمُورُ، فقلتُ: يا جِبْرِيل ما هذا؟ قال: هذا البيتُ المعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يومٍ سَبْعُونَ ألفَ مَلَكٍ، إذا خَرجُوا مِنهُ لم يَعُودُوا فيه آخِرُ ما عليهم، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُما خَمْرٌ، والآخَرُ لَبَنٌ، فَعُرِضَا عَلَيَّ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فقيل: أَصَبْتَ **أَصَابَ اللهُ بك** أُمَّتُكَ علىٰ الفِطْرة، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ كُلَّ يومٍ خَمْسُونَ صلاةً"[1].

٥- (إنَّ حقًّا على الله).

عن أنس - رضي الله عنه - قال: " كانت نَاقَةٌ لرسول اللهِ - ﷺ - تُسَمَّىٰ العَضْبَاء، وكانت لا تُسْبَقُ، فجاء أَعْرَابِيٌّ علىٰ قَعُودٍ له فسَبَقَها، فاشْتَدَّ ذلك علىٰ المسلمين، وقالوا: سُبِقَتِ العَضْبَاءُ، فقال رسول اللهِ - ﷺ -: **إنَّ حَقًّا علىٰ اللهِ** أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا من الدُّنْيَا إلَّا وَضَعَهُ"[2].

---

[1] صحيح مسلم، (١٦٤).

[2] صحيح البخاري، (٦٥٠١).

٦- (حتى يستقل الظل بالرمح).

عن أبي أُمَامَة قال: قال عَمْرُو بن عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ: "كنتُ وأنا في الجاهليَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ علىٰ ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا علىٰ شَيْءٍ وهُمْ يَعْبُدون الأوثان، فسمِعْتُ بِرَجُلٍ بمكَّةَ يُخْبِرُ أخبارًا، فقَعَدْتُ علىٰ راحِلَتي، فقَدِمْتُ عليه، فإذا رسول الله – ﷺ – مُسْتَخْفِيًا جُرَآءُ عليه قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حتَّىٰ دَخَلْتُ عليه بمكَّةَ، فقلتُ له: ما أَنْتَ؟ قال: أنا نَبِيٌّ، فقلتُ: وما نَبِيٌّ؟ قال: أَرْسَلَنِي اللهُ، فقلتُ: وبأيِّ شيءٍ أَرْسَلَكَ، قال: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأرْحَامِ، وكَسْرِ الأوثَانِ، وأنْ يُوَحَّدَ اللهُ لا يُشْرَكُ به شَيْءٌ، قُلْتُ له: فَمَنْ معكَ علىٰ هذا؟ قال: حُرٌّ، وَعَبْدٌ، – قال: ومعهُ يَوْمَئِذٍ أبو بَكْرٍ، وبِلَالٌ مِمَّنْ آمنَ به –، فقلتُ: إنِّي مُتَّبِعُكَ، قال: إنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ ذلك يَوْمَكَ هذا، أَلَا تَرَىٰ حالي وحَالَ النَّاسِ؟ ولَكِنِ ارْجِعْ إلىٰ أَهْلِك، فإذا سَمِعْتَ بي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي، قال: فَذَهَبْتُ إلىٰ أَهْلِي، وقَدِمَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ – المدِينةَ، وكُنْتُ في أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الأخْبَارَ، وأَسْأَلُ النَّاسَ حينَ قَدِمَ المدينَةَ، حتَّىٰ قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهلِ يَثْرِبَ – مِنْ أَهلِ المدينَةَ –، فقلتُ: ما فَعَلَ هذا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ المدينَةَ؟ فقالُوا: النَّاسُ إلَيْهِ سِرَاعٌ، وقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذلك، فَقَدِمْتُ المدينَةَ فَدَخَلْتُ عليه، فقلتُ: يا رسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنِي؟ قال: نَعمْ، أنتَ الَّذي لَقِيتَنِي بمكَّة، قال: فقلتُ: بَلَىٰ، فقلتُ: يا نَبِيَّ اللهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وأَجْهَلُهُ، أخبرني عن الصَّلاةِ، قال: صَلِّ صلاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عن الصَّلَاةِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّىٰ تَرْتَفِعَ، فإنَّهَا تَطْلُعُ حينَ تَطْلُعُ بينَ قَرْنَيْ شَيطَانٍ، وحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لها الكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فإنَّ الصَّلاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ **حتَّىٰ يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بالرُّمْحِ**، ثُمَّ أَقْصِرْ عن الصَّلَاةِ، فإنَّ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جهنَّمُ، ... إلخ الحديث"[1].

[1] صحيح مسلم، (٨٣٢).

٧- **(زَيِّنُوا القرآن بأصواتكم).**

عن البراء بن عازب - ﷺ - قال: قال رسول اللهِ - ﷺ -: "**زَيِّنُوا القُرآن بأصْواتِكم**"(١).

٨- **(عُرِض على مَقعَده).**

عن ابن عمر - ﷺ - أن رسول الله - ﷺ - قال: "إذا مات أحدكم **عُرِضَ على مَقْعده** بالغَداة والعَشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدُك حتىٰ يَبعثَك الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة"(٢).

٩- **(كُلُّ خَزَنَة باب).**

عن أبي سلَمةَ أَنَّهُ سَمِعَ أبا هُرَيرة - ﷺ - عن النَّبِيّ - ﷺ - قال: "مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ في سبِيل اللهِ، دَعَاهُ خَزَنَةُ الجَنَّةِ، **كُلُّ خَزَنَةِ بَابٍ**: أَيْ فُلُ هَلُمَّ، قال أبو بَكرٍ: يا رسُولَ اللهِ، ذَاكَ الَّذي لَا تَوَىٰ عليهِ، فقال النَّبِيُّ - ﷺ -:إِنِّي لَأَرْجُو أنْ تَكُونَ مِنْهُمْ"(٣).

---

(١) سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، إشراف ومراجعة فضيلة الشيخ: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م)، (١٤٦٨)، سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، إشراف ومراجعة فضيلة الشيخ: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م)، (١٠١٦).

(٢) سنن ابن ماجه، طبعة مُصَحَّحة بإشراف ومراجعة فضيلة الشيخ: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، (٤٢٧٠).

(٣) صحيح البخاري، (٢٨٤١)، صحيح مسلم، (١٠٢٧).

١٠- (كمَثَل رجلٍ استأجرَ قوماً).

عن أبي موسىٰ عن النبي - ﷺ - قال: "مَثَلُ المسلمين واليهودِ والنَّصارىٰ **كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا** يَعملُونَ لهُ عَمَلًا إلىٰ اللَّيْل، فَعَمِلُوا إلىٰ نِصْفِ النَّهَار، فقالوا لا حاجةَ لنا إلىٰ أَجْرِكَ، فَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ فقال: أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ وَلَكُمُ الذي شَرَطْتُ، فعَمِلُوا حتَّىٰ إذا كان حين صلاة العَصرِ قالوا: لَكَ ما عَمِلْنَا، فاسْتَأْجَرَ قومًا فعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَومهمْ حتَّىٰ غابت الشَّمس، واسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الفَرِيقَيْنِ"(١).

١١- (ليس الكَذَّاب الذي يُصلِحُ بين الناس).

عن أُمّ كُلْثُوم بنتَ عُقْبَةَ أنَّها سَمِعتْ رسول الله - ﷺ - يقول: "**ليس الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بينَ النَّاسِ** فَيَنْمِي خَيرًا، أوْ يَقُولُ خَيْرًا"(٢).

١٢- (هما بهم كفر).

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول اللهِ - ﷺ -: "اثْنتان في النَّاسِ **هُمَا بهم كُفْرٌ**: الطَّعْنُ في النَّسَب، والنِّيَاحَةُ علىٰ الميِّت"(٣).

١٣- (يقولون منْ خير البَريَّة).

عن سُوَيْدِ بن غَفَلة قال: قال عليٌّ رضي الله عنه: "إذا حَدَّثْتُكُمْ عن رسول الله - ﷺ - فَلَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاء أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عليه، وإذا حَدَّثْتُكُمْ فِيما بَيني وبَينكُمْ فإنَّ الحَرْبَ خَدْعَةٌ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: يأتي في آخر الزَّمَان قومٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَان، سُفَهَاءُ الأحلام، **يقولون منْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّة**، يَمْرُقُونَ منَ الإسلام كما يَمْرُقُ السَّهْمُ منَ الرَّمِيَّةِ، لا يُجاوزُ إيمانُهُمْ حَناجِرَهُمْ، فأينمَا لَقِيتُمُوهُمْ فاقْتُلُوهُمْ، فإنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمنْ قَتَلَهُمْ يوم القيامة"(٤).

---

(١) صحيح البخاري، (٥٥٨).

(٢) صحيح البخاري، (٢٦٩٢)، صحيح مسلم، (٢٦٠٥).

(٣) صحيح مسلم (٦٧).

(٤) صحيح البخاري، (٣٦١١)، صحيح مسلم (١٠٦٦).

ثانيًا: ما وقع القلب في الحديث وكان من كلام الراوي أو الصحابي ﷺ:

١- (إذا شكَّ في نفسه شيء).

عن أبي وائل قال" قال عبد الله - ﷺ -[١]: "لقد أتاني اليوم رجل فسألني عن أمرٍ ما دَرَيْتُ ما أَرُدُّ عليه، فقال أرأيتَ رجلًا مُؤْدِيًا نَشيطًا يَخرجُ مع أُمرائنا في المغازي فيَعْزِمُ علينا في أشياء لا نُحصِيها؟ فقلتُ له: والله ما أدري ما أقولُ لك إلَّا أَنَّا كنَّا مع النبي - ﷺ - فعسىٰ أن لا يَعزِم علينا في أمرٍ إلا مَرَّةً حتَّىٰ نَفعلَه، وإنَّ أحدَكم لَنْ يَزال بخيرٍ ما اتَّقىٰ الله، **وإذا شَكَّ في نفسه شيءٌ** سأل رجلًا فشفاهُ منه وأَوشَكَ أنْ لا تَجدوه، والذي لا إله إلا هو ما أَذْكُرُ ما غَبَرَ من الدُّنيا إلا كالثَّغَبِ شُرِبَ صَفْوُهُ وبَقيَ كَدَرُه"[٢].

٢- (أعليكَ بأبي أنت وأمي يا رسول الله أغار؟).

عن سعيد بن المُسَيَّبِ أَنَّ أبا هُريرة قال: "بَيْنَا نحن جُلُوسٌ عند رسول الله - ﷺ - قال: بَيْنَا أنا نَائِمٌ رَأَيْتُني في الجنَّة، فإذا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إلىٰ جانب قَصْر، قُلتُ لِمَنْ هذا القَصْرُ؟ قالوا: لِعُمرَ بن الخَطَّاب، فَذكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا، قال أبو هريرة: فَبَكَىٰ عُمَرُ بن الخَطَّابِ، ثُمَّ قال: **أَعَلَيْكَ بأبي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ أَغَارُ**"[٣]، وفي لفظ: "أعليكَ أغارُ يا رسول الله"[٤].

٣- (بياضه في يده).

عن أنس بن مالك - ﷺ - قال: "كتب النبي - ﷺ - كتابًا أو أراد أن يكتب فقيل له: إنهم لا يَقرؤون كتابًا إلا مختومًا، فاتَّخَذ خاتَمًا من فِضَّة نَقْشُهُ محمدٌ

---

[١] هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود.

[٢] صحيح البخاري، (٢٩٦٤).

[٣] صحيح البخاري، (٧٠٢٣)، صحيح مسلم (٢٣٩٥).

[٤] صحيح البخاري، (٣٢٤٢).

رسول الله، كأَنِّي أنظرُ إلىٰ بَياضِه في يده، فقلتُ لقَتادة: مَنْ قال نَقْشُهُ محمد رسول الله؟ قال: أنس"[1].

٤- (ثم ضَربَ يده بالأرض أو الحائط).

عن ابن عباس عن ميمونة قالت: "وَضع رسول اللهِ - ﷺ - وَضُوء الجَنابَة، فكَفَأ بيمينه علىٰ يساره مرتين أو ثلاثًا، ثم غسل فَرْجَهُ، **ثم ضرب يده بالأرض أو الحائط** مرتين أو ثلاثًا، ثم مَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ، وغسل وجهه وذِراعيه، ثم أفاض علىٰ رأسه الماء، ثم غسل جسده، ثم تَنَحَّىٰ فغسل رجليه، قالت: فأَتَيْتُهُ بِخِرْقَةٍ فلم يُرِدْهَا، فجعل يَنْفُضُ الماء بيده"[2].

٥- (سُيوفُنا تَقطُر من دماء قريش).

عن أَبِي التَّيَّاحِ قال سمعتُ أنسًا - رضي الله عنه - يقول: قالت الأنصار يوم فَتْح مكة: وأعْطَىٰ قُرَيْشًا والله إنَّ هذا لَهُوَ العَجَبُ، إنَّ **سُيُوفَنا لَتَقْطُرُ منْ دِمَاءِ قُرَيْشٍ**، وغَنائِمُنا تُرَدُّ عليهم، فبَلغ ذلك النَّبِيَّ - ﷺ - فدعا الأنصار، قال: فقال: ما الذي بَلَغَني عنكم؟ وكانوا لا يَكْذِبُون، فقالوا هو الذي بَلَغَك، قال: أَوَلَا تَرْضَوْنَ أن يَرْجع النَّاسُ بِالغَنائم إلىٰ بُيُوتِهِمْ وتَرْجِعُونَ برسول الله - ﷺ - إلىٰ بُيوتِكُمْ؟ لَوْ سَلَكَتِ الأنصار وَادِيًا أو شِعْبًا لَسَلَكْتُ وادِيَ الأنصار أو شِعْبَهُمْ"[3]، وعند مسلمٍ بلفظ: "إنَّ سُيُوفَنا تَقْطُر من دمائهم"[4].

٦- (الزَّبيب بالكَرْم كَيلًا).

عن عبد الله بن عمر - رضي اللهُ عنهما - أَنَّ رسول الله - ﷺ - "نَهَىٰ عن المُزَابَنَةِ، والمُزَابَنَةُ بَيْعُ الثَّمَرِ بالتَّمْرِ كَيْلًا، وبَيْعُ **الزَّبِيبِ بالكَرْمِ كَيْلًا**"[5].

---

[1] صحيح البخاري، (٦٥)، صحيح مسلم (٢٠٩٢).

[2] صحيح البخاري، (٢٧٤).

[3] المصدر السابق، (٣٧٧٨).

[4] صحيح مسلم، (١٠٥٩).

[5] صحيح البخاري، (٢١٧١).

٧- (فمسَح برأسه).

حَدَّثَنَا عَمْرُو بن يحيىٰ، عن أبيه، قال: "شَهِدْتُ عَمْرَو بن أبي حسن، سأل عبد اللهِ بن زيدٍ عن وُضُوءِ النَّبِيِّ - ﷺ - فَدَعَا بِتَوْرٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ لهم، فَكَفَأَ علىٰ يَدَيْهِ فَغَسَلَهُمَا ثَلاَثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يده في الإِنَاءِ فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْثَرَ ثَلاَثًا بِثَلاَثِ غَرَفَاتٍ مِنْ مَاءٍ، ثُمَّ أَدْخَلَ يده في الإِنَاءِ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ في الإِنَاء، فغَسَلَ يديه إلىٰ المرْفَقَيْنِ مَرَّتينِ مَرَّتينِ، ثُمَّ أَدْخَلَ يدهُ في الإناءِ **فَمَسَحَ بِرَأْسِهِ**، فَأَقْبَلَ بِيدِهِ وَأَدْبَرَ بها، ثُمَّ أَدْخَلَ يده فَغَسَلَ رِجْلَيْهِ"[1].

٨- (فنزعتُها).

عن سعيد بن جُبَير، قال: كنتُ مع ابنِ عمرَ حِين أصابه سِنَانُ الرُّمْحِ في أَخْمَصِ قدمِه، فَلَزِقَتْ قدَمُهُ بالرِّكاب، فنَزلْتُ، **فَنَزَعْتُهَا** وذلك بِمِنىٰ، فبلَغَ الحجَّاجَ فجعَل يَعُودُه، فقال الحجَّاج: لَو نَعْلَمُ مَنْ أصابك، فقال ابن عمر: أنتَ أَصَبْتَنِي، قال: وكيف؟ قال: حَمَلْتَ السِّلاحَ في يومٍ لَمْ يكنْ يُحْمَلُ فيه، وأَدْخَلْتَ السِّلاح الحرم ولم يَكُنِ السِّلاحُ يُدْخَلُ الحرم"[2].

٩- (فيأتي السَّهم فيُرمَى).

عن أبي الأَسْوَدِ قال: "قُطِعَ علىٰ أهل المدينة بَعْثٌ فاكْتُتِبْتُ فِيه، فَلَقِيتُ عِكْرِمَة فأخْبَرتُه، فَنَهَانِي أَشَدَّ النَّهْي، ثُمَّ قال: أَخبرَنِي ابن عَبَّاسٍ أَنَّ أُناسًا مِنَ المسلِمِينَ كانُوا مع المشركين يُكَثِّرُون سَوَادَ المشركين علىٰ رسول الله - ﷺ - **فَيَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَىٰ** فَيُصِيبُ أحدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ أَوْ يَضْرِبُهُ فَيَقْتُلُهُ، فأنزَلَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ** ﴾ (النساء ٩٧)"[3].

---

[1] صحيح البخاري، (١٩٢)، صحيح مسلم (٢٣٥).

[2] صحيح البخاري، (٩٦٦).

[3] المصدر السابق، (٧٠٨٥).

١٠- (قد عُرِضُوا فأبَوا).

عن عبد الرحمن بن أبي بكر: "أن أصحاب الصُّفَّة كانوا أُناسًا فقراء، وأن النبي - ﷺ - قال: من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، وإنْ أربعٌ فخامس أو سادس. وأنَّ أبا بكر جاء بثلاثةٍ وانطلَق النبي - ﷺ - بعشَرة. قال: فهو أنا وأبي، فلا أدري قال: وامرأتي وخادم بين بيتِنا وبَينَ بيت أبي بكر، وإنَّ أبا بكر تَعشَّىٰ عند النبي - ﷺ - ثم لَبِثَ حيث صُلِّيَتِ العِشاء، ثم رجع فلبِثَ حتىٰ تَعشَّىٰ النبي - ﷺ -، فجاء بعد ما مضىٰ من الليل ما شاء الله، قالت له امرأتُه: وما حَبسَك عن أضيافِك، أو قالت: ضيفِك؟ قال: أَوَما عَشَّيتَهم؟ قالت: أبَوْا حتىٰ تَجيء، **قد عُرِضُوا فأبَوا**، .... إلخ الحديث"[1].

١١- (لا أُوثِرُهُم بأحد أبدًا).

عن هِشامٍ عن أَبيهِ أَنَّ عُمر أَرْسل إلىٰ عائشة: "ائْذَنِي لِي أَنْ أُدْفَنَ مع صاحِبَيَّ، فقالت: إِي وَاللهِ، قال: وكان الرَّجُلُ إذا أَرْسَلَ إليها مِنَ الصَّحَابَةِ قالت: لا وَاللهِ، **لا أُوثِرُهُمْ بأَحَدٍ أَبَدًا**"[2].

١٢- (مَنْسُوجٌ في حاشيتها).

عن أبي حازمٍ عن سهل بن سعد - ﷺ - قال: "جاءت امرأةٌ بِبُرْدةٍ، قال سهل: هل تَدرون ما البُرْدة؟ قال: نعم، هي الشَّمْلَة **مَنْسُوجٌ في حَاشِيتِها**، قالت: يا رسول الله إني نَسَجْتُ هذه بِيَدِي أَكْسُوكَها، فأخذها رسول الله - ﷺ - مُحتاجًا إليها، فخرج إلينا رسول الله - ﷺ - وإنَّها لَإزارُه فجَسَّها رجلٌ من القوم فقال يا رسول الله: اكْسُنِيها، قال: نعم، فجلس ما شاء الله في المجلس، ثم رجع فَطَوَاها، ثُمَّ أُرْسِل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنتَ، سألتَها إيَّاهُ وقد عرفتَ أنه لا يَرُدُّ سائلًا،

---

[1] المصدر السابق، (٢٠٦).

[2] المصدر السابق، (٧٣٢٨).

فقال الرجل: والله ما سألتُها إلَّا لتكونَ كَفَني يوم أمُوت، قال سهل: فكانت كَفَنُه"[1]، وفي روايةٍ عند مسلم: "مَنسوجَةٌ في حاشيتها"[2].

١٣- (يَرَى أنَّ حقًّا عليه أنْ لا يَنصرِف إلَّا عن يمينه).

عن عُمَارة بن عُمَير، عن الأسود قال: قال عبد الله: "لا يَجعلْ أحدُكم للشيطان شيئًا من صلاته **يَرىٰ أنَّ حقًّا عليه أن لا ينصرف إلَّا عن يمينه**، لقد رأيتُ النبي - ﷺ - كثيرًا ينصرف عن يساره"[3]، وعند مسلم بلفظ: "لا **يَرىٰ إلَّا أنَّ حقًّا عليه أنْ لا يَنصرِف إلَّا عن يمينه**"[4].

وفي ضوء ما سبق لا أحسب أنني قد جمعتُ جُلَّ الأحاديث الشريفة التي وقع فيها قلب، أو قيل بوقوع القلب فيها، وإنما هي بمثابة الجمع الأوَّلي، ولا تزال الحاجة إلىٰ إعادة بحث، وطول نظر، وتأمّل في أحاديث الصحيحين وغيرهما من المصنّفات للأحاديث النبوية؛ للوقوف علىٰ أساليب القلب.

---

[1] صحيح البخاري، (٥٨١٠).

[2] المصدر السابق، (٢٠٩٣).

[3] المصدر السابق، (٨٥٢).

[4] المصدر السابق، (٧٠٧).

المبحث الثالث

التحليل البلاغي للقلب في الحديث الشريف

لم يخل الحديث النبوي من ظاهرة القلب، فمع قلّتها عني عددٌ من شرّاح الحديث ببيانها، والكشف عن أثرها في المعنىٰ، أو بيانها بذكر رأي من سبق مع الإقرار أو الرفض.

ويأتي هذا المبحث لأقف علىٰ جملةٍ من الأحاديث الشريفة[1]، ممَّا رأىٰ المحدِّثون – رحمهم الله – أو بعضهم أن الكلام الذي صدر من النبي – ﷺ – أو من راوي الحديث أو صحابيٍّ آخر قد خرج عن مقتضىٰ الأصل والظاهر بطريق القلب؛ للتأمّل فيها، وتحليلها، وبيان أثر القلب البلاغي في المعنىٰ، ومدىٰ تأثيره في المتلقي، ووجه حُسن مجيء الكلام بالقلب دون الأصل.

الحديث الأول[2]:

عن المَعرُور بن سُوَيْد قال: لَقِيتُ أبا ذَرٍّ بالرَّبَذَة وعليه حُلَّةٌ، وعلىٰ غُلامه حُلَّةٌ، فسألْتُهُ عن ذلك، فقال: إنِّي سَابَبْتُ رجلًا فَعَيَّرْتُهُ بأمِّه، فقال لي النَّبي ﷺ: "يا أبا ذَرٍّ! أَعَيَّرْتَهُ بأمِّه؟ إنَّك امْرُؤٌ فيك جاهليَّة، **إخْوَانُكُمْ خَوَلُكُم**، جعلهم اللهُ تحت أيديكُم، فمن كان أخوهُ تحت يده فليُطعمْهُ ممَّا يأكل، ولْيُلبِسْهُ ممَّا يَلبَس، ولا تُكَلِّفُوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ، فإنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فأعِينُوهُم"[3]، وعند مسلم بلفظ: "إخوانُكم وخَوَلُكم"[4].

---

[1] وعددها عشرة؛ واختيارها مبنيٌّ علىٰ أحد أمرين: الأول: اتفاق العلماء علىٰ وقوع القلب في الحديث، والآخر: اختيار كثيرٍ من العلماء الرأي بوقوع القلب في الحديث ولو خالفهم غيرهم، أو كان قولهم مرجوحًا.

[2] ترتَّبت الأحاديث علىٰ ترتيب الأحرف الهجائية في ضوء الحرف الأول من الشاهد.

[3] صحيح البخاري، (٣٠).

[4] صحيح مسلم، (١٦٦١).

في هذا الحديث الشريف حثٌّ للإحسان إلىٰ من تحت أيدينا من خَدَم وأُجَراء، بالرِّفق بهم، ومعاملتهم معاملةً حسنة، نابعة من الأخوّة الدينية، فيُحبُّ لهم ما يُحبُّ لنفسه، ويُلبِسهم ويُطعمهم مما يُحبُّ من ذلك أيضًا.

والشاهد في الحديث هو قوله - ﷺ -: (إخوانكم خولكم)، والخَوَل هم الخَدَم، وفي هذا التركيب ملمحان بيانيان:

الملمح الأول: التقديم والتأخير؛ لأن الأصل في التركيب (خَوَلُكم إخوانكم)، لكن لـمَّا كان قصد المتكلم هو الحكم علىٰ الخَوَل بالأخوَّة قدَّم الخبر (إخوانكم) علىٰ المبتدأ (خَوَلكم)؛ إشارةً إلىٰ أهمية الخبر، وهو شأن الأخوة، وفوق ذلك الاهتمام بشأن الأخوة بوجهٍ عام، وفي مقابل ذلك لطيفةٌ بيانيَّةٌ أخرىٰ خاصة تظهر من تقديم الخبر علىٰ المبتدأ، ألا وهو إفادة القصر، والمعنىٰ: أن الخَوَل ما هم إلَّا إخوانٌ لنا.

الملمح الثاني: القلب، فإنه لـمَّا كان الأصل في التركيب (خَوَلُكم إخوانكم)، وفي سياق الحديث النبوي ورد مقلوبًا (إخوانكم خَوَلُكم) أورثَ هذا القلب في الكلام ملاحةً، وفي المقام بيانًا من حيث المبالغة، وذلك لأن النبي - ﷺ - لـمَّا أنكر علىٰ أبي ذرٍّ - رضي الله عنه - سوء معاملته لغلامه، رغِب - عليه الصلاة والسلام - أن يُصلِح ما اعوجّ من تلك المعاملة، فوجّه أبا ذرٍ أن يُحسن لغلامه، ويُعامله معاملةً حسنةً كمعاملته لأخيه، فكان الأظهر في السياق أن يقول - ﷺ -: "خَوَلُكم إخوانكم"، بإسقاط الحكم علىٰ الخَوَل بأنهم إخوة، وأنهم المقصودون بالحكم، لكنّ الذي لا ينطق عن الهوىٰ لم يُرد أن يكون توجيهه ونصحه خاصًّا بأبي ذر، بل رغب أن يكون توجيهه عامًا لأمته؛ لتقرير دعوةٍ ساميةٍ من دعاوىٰ الإسلام الخالدة ألا وهي الأخوَّة في الإسلام، فقَلْب التركيب خلافًا للأصل - إخوانكم خَوَلُكم -؛ ليكون الحكم منصرفًا إلىٰ الأخوَّة، وللإشعار أن الخَوَل ما

هم إلا إخوةٌ لنا، اهتمامًا ومبالغةً بشأن الأخوّة، وبهذا القلب أصبح الخَوَل كأنهم الأصل، والمحكوم بهم، والأخوَّة الفرع والمحكوم عليهم من باب المبالغة بأهمية الأخوَّة الإسلامية، قال شمس الدين الكرماني (٧٨٦ه): "فإن قلتَ: أصل الكلام أن يقال: خَوَلُكم إخوانكم؛ لأن المقصود هو الحكم علىٰ الخَوَل بالأخوَة، قلتُ: التقديم إما للاهتمام ببيان الأخوّة، وإما لحصر الخَوَل علىٰ الإخوان، أي: ليسوا إلا إخوانًا...، وإما أنه من باب القلب المورث لملاحة الكلام"[1].

وكما رأيت أيها القارئ الكريم فقد التقىٰ التقديم والتأخير مع القلب في تركيبٍ واحدٍ من الحديث الشريف، وهذا الالتقاء أدىٰ إلىٰ أن تزاحمت فيه اللطائف البلاغية، وازداد المعنىٰ وضوحًا ورسوخًا وتوكيدًا.

الحديث الثاني:

عن أبي وائل قال:" قال عبد الله – ﷺ –[2]: "لقد أتاني اليوم رجل فسألني عن أمرٍ ما دَرَيْتُ ما أَرُدُّ عليه، فقال أرأيتَ رجلًا مُؤْدِيًا نَشيطًا يَخرجُ مع أُمرائنا في المغازي فيَعْزِمُ علينا في أشياء لا نُحصِيها؟ فقلتُ له: والله ما أدري ما أقولُ لك إلَّا أَنَّا كنَّا مع النبي – ﷺ – فعسىٰ أن لا يَعزِم علينا في أمرٍ إلا مَرَّةً حتَّىٰ نَفعلَه، وإنَّ أحدَكم لَنْ يَزال بخيرٍ ما اتَّقىٰ الله، **وإذا شَكَّ في نفسه شيءٌ** سأل رجلًا فشفاهُ منه

---

[1] الكواكب الدَّراري في شرح صحيح البخاري، لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد، المعروف بـ(شمس الدين الكرماني)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠١ه/ ١٩٨١م)، (١/ ١٣٩).

[2] هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود.

وأَوشَكَ أنْ لا تَجدوه، والذي لا إله إلا هو ما أَذْكُرُ ما غَبَرَ من الدُّنيا إلا كالثَّغَبِ، شُرِبَ صَفْوُهُ وبَقيَ كَدَرُه"[1].

ظاهر هذا الحديث الشريف في بيان شدة لزوم طاعة الإمام، أو من يُنيبه؛ فطاعتهما من أهمّ الأمور لصلاح أمر الدِّين والدنيا، بالإضافة إلىٰ الحثّ وإرشاد الخلق لسؤال أهل العلم الراسخين فيما أشكل علىٰ النفس حكمه.

ومعنىٰ قول ابن مسعود - ﷺ -: "وإذا شكَّ في نفسه شيء" أي: تردَّد فيه أنه جائز أو غير جائز، وقد وقع مقلوبًا، إذ أصله: شكَّ نفسه في شيء،[2]؛ لأن مصدر الشَّك أو التردُّد شيءٌ محسوس وهي النفس وليس الشيء المشكوك فيه، فعلىٰ ذلك تكون النفس هي التي تتردّد في الشيء، لكن قول ابن مسعود قد جاء عكس ذلك، فجُعل غير المحسوس - وهو الشيء - متردِّدًا في النفس! علىٰ سبيل القلب؛ للمبالغة في وصف ما وصلت إليه النفس من شدة التردُّد إلىٰ درجة أن الشيء المُتردَّد فيه أصبح كالنفس محسوسًا يشكّ ويتردّد، فأخذ حكمها وأحكامها، وهذا فيه إرشادٌ إلىٰ عدم إقدام العبد لِمَا يشك فيه حتىٰ يسأل عنه من عنده علمٌ راسخ، فيفتيه بالحق، ويشفيه مما يجد من تردد، والله أعلم.

الحديث الثالث:

عن أبي أُمَامَة قال: قال عَمْرُو بن عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ: "كنتُ وأنا في الجاهليَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ علىٰ ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا علىٰ شَيْءٍ وهُمْ يَعْبُدون الأوثان، فسمِعْتُ بِرَجُلٍ بمكَّةَ يُخْبِرُ أخبارًا، فقَعَدْتُ علىٰ راحِلَتي، فقَدِمْتُ عليه، فإذا رسول الله - ﷺ - مُسْتَخْفِيًا جُرَآءُ عليه قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حتَّىٰ دَخَلْتُ عليه بمكَّةَ، فقلتُ له: ما أنْتَ؟ قال: أنا نَبِيٌّ، فقلتُ: وما نَبِيٌّ؟ قال: أَرْسَلَنِي اللهُ، فقلتُ: وبأيِّ شيءٍ

---

[1] صحيح البخاري، (٢٩٦٤).

[2] ينظر: الكواكب الدَّراري في شرح صحيح البخاري، (١٢/ ٢٠١).

أَرْسَلَكَ، قال: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وكَسْرِ الأَوثَانِ، وأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لا يُشْرَكُ به شَيْءٌ، قُلْتُ له: فَمَنْ معكَ علىٰ هذا؟ قال: حُرٌّ، وَعَبْدٌ، – قال: ومعهُ يَوْمَئِذٍ أبو بَكْرٍ، وبِلَالٌ مِمَّنْ آمنَ به –، فقلتُ: إنِّي مُتَّبِعُكَ، قال: إنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ ذلك يَوْمَكَ هذا، أَلَا تَرَىٰ حالي وحَالَ النَّاسِ؟ ولَكِنِ ارْجِعْ إلىٰ أَهْلِك، فإذا سَمِعْتَ بي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي، قال: فَذَهَبْتُ إلىٰ أَهْلِي، وقَدِمَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ – المدينة، وكُنْتُ في أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الأَخْبَارَ، وأَسْأَلُ النَّاسَ حينَ قَدِمَ المدينَةَ، حتَّىٰ قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهلِ يَثْرِبَ – مِنْ أَهلِ المدينَةَ –، فقلتُ: ما فَعَلَ هذا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ المدينَةَ؟ فقالُوا: النَّاسُ إلَيْهِ سِرَاعٌ، وقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذلك، فَقَدِمْتُ المدينَةَ فَدَخَلْتُ عليه، فقلتُ: يا رسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنِي؟ قال: نَعمْ، أنتَ الَّذي لَقِيتَنِي بمكَّة، قال: فقلتُ: بَلَىٰ، فقلتُ: يا نَبِيَّ اللهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وأَجْهَلُهُ، أخبرني عن الصَّلاةِ، قال: صَلِّ صلاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عن الصَّلَاةِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّىٰ تَرْتَفِعَ، فإنَّهَا تَطْلُعُ حينَ تَطْلُعُ بينَ قَرْنَيْ شَيطَانٍ، وحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لها الكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فإنَّ الصَّلاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ **حتَّىٰ يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بالرُّمْحِ**، ثُمَّ أَقْصِرْ عن الصَّلَاةِ، فإنَّ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جهنَّمُ، ... إلخ الحديث"[1].

وموضوع هذا الحديث النبوي الشريف في بيان فضل صلاة التطوع، وأنها مشهودةٌ من الله – ﷻ – وملائكته، وفيه بيان لأوقات الإباحة لصلاة التطوّع، وكذلك أوقات النهي.

والشاهد في الحديث قوله ﷺ: "حتىٰ يستقِلّ الظِّلّ بالرُّمح"، والمراد أن يكون الظل بمقدار الرمح، "فيقوم مقابله في جهة الشمال، ليس مائلًا إلىٰ المغرب ولا

[1] صحيح مسلم، (٨٣٢).

إلىٰ المشرق، وهذه حالة الاستواء"[1]، وهذا الوصف لمن كان في مكة والمدينة وحواليهما.

والأصل في تركيب الشاهد من الحديث أن يقال: حتىٰ يستقلَّ الرمح بالظِّل، لكن جاء الكلام النبوي علىٰ القلب، بإسناد الفعل يستقلّ إلىٰ الظل لا إلىٰ الرمح؛ للمبالغة – والله أعلم – في بيان أن الرمح صار بمنزلة الظّل، قال محمد بن علّان: "قوله: (حتىٰ يستقِلّ الظِّلّ بالرُّمح) هذا من باب القلب كطيَّنتُ الطين بالقصر، وعرضت الناقة علىٰ الحوض، أي: حتىٰ يستقل الرمح بالظل أي يَبلُغ ظله أدنىٰ غاية النقص، ففيه محسِّن القلب من المبالغة المتولِّدة عنه؛ لإفادة كون الرمح صار بمنزلة الظل في القلة، والظل صار بمنزلة الرمح في عدم وجود شيءٍ في الأرض إلا بمقدار مركزه؛ وذلك لأن ظلَّ الشاخص يكون أوّل النهار طويلًا إلىٰ جهة المغرب، ثم ما زاد يتناقص إلىٰ أن يصل إلىٰ غايته وذلك وقت الاستواء"[2]، ومما يؤيد وقوع القلب في الحديث مجيء الشاهد بلا قلب في روايتين أُخريتين صححهما الألباني رحمه الله، الرواية الأولىٰ عند أبي داود

---

[1] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، (١٣٩٢ه)، (٦/ ١١٦).

[2] دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لمحمد بن علان بن إبراهيم البكري الشافعي، اعتنىٰ بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، (١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م)، (٤/ ٣٤٤).

بلفظ: "حتىٰ يَعدِل الرمحُ ظِلَّه"[1] أي: يعادل، والرواية الأخرىٰ عند ابن ماجة بلفظ: "حتىٰ يقوم العمودُ علىٰ ظِلّه"[2].

الحديث الرابع:

عن البراء بن عازب – ﷺ – قال: قال رسول اللهِ – ﷺ –: **"زَيِّنُوا القُرآن بأصْواتِكم"**[3].

في هذا الحديث النبوي أمرٌ من نبينا الكريم – ﷺ – بأن يُزيِّن العبد صوته حال قراءته لكتاب الله؛ لأن تزيين الصوت وتحسينه من أسباب الخشوع والتَّدبر، والرغبة في سماع القرآن، وحُسن الفهم عن الله ﷻ.

والمتأمل في لفظ الحديث وإسناده والمعنىٰ العام له، وفي عرضه علىٰ سياق الحال والواقع يتبادر لذهنه أن تركيبه الإسنادي قد جاء خلافًا للظاهر؛ لأن الأصل في تركيبه بما يوافق الحال والواقع: (زيِّنوا أصواتكم بالقرآن)، بإسناد التزيين إلىٰ الصوت لا إلىٰ المقروء، "لأن القرآن أعظم من أن يُحسَّن بالصوت، بل الصوت أولىٰ بأن يُحسَّن بالقرآن"[4]، ومما يُعلَم أن من دواعي جلب الانتباه وشدّ الأسماع لما يُقرأ أو يُلقَىٰ هو حُسن الأداء بالقراءة، والإلقاء بالصوت، والنفس بفطرتها تميل إلىٰ سماع قراءة من يترنَّم أكثر من ميلها لمن لا يترنَّم؛ لأن

---

[1] سنن أبي داود، (١٢٧٧)، صحيح سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢٣ه/ ٢٠٠٢م)، (٥/ ٢٠).

[2] سنن ابن ماجة، (١٢٥١)، صحيح سنن ابن ماجه، للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولىٰ، (١٤١٧ه/ ١٩٩٧م)، (١/ ٣٧٤).

[3] سنن أبي داود، (١٤٦٨)، سنن النسائي، (١٠١٦).

[4] فتح الودود في شرح سنن أبي داود، لأبي الحسن السندي، تحقيق: محمد زكي الخولي، مكتبة أضواء المنار، المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، (٢/ ١٤٠).

في الترنُّم تأثيرًا في القلب، وبهذا يكون في الحديث قلب؛ والسر في ذلك – والله أعلم – هو المبالغة بالأمر في إظهار زينة هذا القرآن العظيم حال قراءته؛ بحسن الصوت، وترتيله، وتجويده، ولذا جاءت روايةٌ أخرىٰ للحديث بزيادةٍ عند الحاكم وصححها الألباني أن رسول الله – ﷺ – قال: "زيِّنوا القرآن بأصواتكم، فإنَّ الصوت الحسن يزيد القرآن حُسنًا"[1]، فالشيء الحسن في أصله يزداد حُسنًا بإضافة ما يُحسِّنه ويُزيّنه، وممّا يدل علىٰ أن القرآن الكريم يزداد حُسنًا وجمالًا عند قراءته بصوتٍ حسن، ولا يتعارض مع عظمته وقدسيّته ما رُوي عن أبي موسىٰ الأشعري – رضي الله عنه – قال: "استمع رسول الله – ﷺ – قراءتي من الليل، فلما أصبحتُ قال: يا أبا موسىٰ، استمعتُ قراءتك الليلة، لقد أُوتيتَ مِزمارًا من مزامير آل داود، قال أبو موسىٰ الأشعري: يا رسول الله، لو علمتُ مكانك لحبَّرتُ لك تحبيرًا"[2]، فأبو موسىٰ الأشعري صوته جميل بالقرآن، شدّ به سمع رسول الله – عليه السلام – حتىٰ جلس يستمع إليه، بل وأثنىٰ عليه، وتمنّىٰ أبو موسىٰ لو علم باستماع الرسول لقراءته لازداد في تجميل صوته وتزيينه، وفي هذا لم يُنكر النبي – ﷺ – علىٰ أبي موسىٰ تحسين صوته بالقرآن، بل ورغبته الزيادة في تحسينه، فلو

---

[1] المستدرك علىٰ الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤١١ه/ ١٩٩٠م)، (٢١٢٥)، وينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، (٢/ ٤٠١).

[2] صحيح ابن حبان، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤١٤ه/ ١٩٩٣م)، (٧١٩٧)، وينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (٧/ ١٤٨٣).

كان مما يُنكَر لأنكره، أو كان قادحًا في الإخلاص لأنكر عليه، وهذا يدل علىٰ أن تحسين الصوت، والمبالغة في تحبيره بالقرآن باعثٌ لخشوع القارئ والمستمع، والله أعلم.

قال الخطابي: "قوله: (زيِّنوا القرآن بأصواتكم) المعنىٰ: زيِّنوا أصواتكم بالقرآن، فقدَّم الأصوات علىٰ مذهبهم في قلب الكلام، وهو كثير في كلامهم، يقال: عرضت الناقة علىٰ الحوض أي عرضت الحوض علىٰ الناقة، وإذا طلعتْ الشّعرىٰ واستوىٰ العود علىٰ الحرباء أي استوىٰ الحرباء علىٰ العود...، وإنما تأولنا الحديث علىٰ هذا المعنىٰ لأنه لا يجوز علىٰ القرآن وهو كلام الخالق أن يُزيِّنه صوت مخلوق، بل هو بالتزيين لغيره، والتحسين له أولىٰ"[1].

الحديث الخامس:

عن أَبِي التَّيَّاحِ قال سمعتُ أنسًا – ﷺ – يقول: قالت الأنصار يوم فَتْح مكة: وأعْطَىٰ قُرَيْشًا والله إنَّ هذا لَهُوَ العَجَبُ، إنَّ **سُيُوفَنا لَتَقْطُرُ مِنْ دِمَاءِ قُرَيْشٍ**، وغَنائِمُنا تُرَدُّ عليهم، فبَلغ ذلك النَّبِيَّ – ﷺ – فدعا الأنصار، قال: فقال: ما الذي بَلَغَني عنكم؟ وكانوا لا يَكْذِبُون، فقالوا هو الذي بَلَغَك، قال: أَوَلَا تَرْضَوْنَ أن يَرْجع النَّاسُ بِالغَنائم إلىٰ بُيُوتِهِمْ وتَرْجِعُونَ برسول الله – ﷺ – إلىٰ بُيوتِكُمْ؟ لَوْ سَلَكَتِ الأنصار وَادِيًا أو شِعْبًا لَسَلَكْتُ وادِيَ الأنصار أو شِعْبَهُمْ"[2]، وعند مسلمٍ بلفظ: "إنَّ سُيُوفَنا تَقْطُر من دمائهم"[3].

---

[1] غريب الحديث، لأبي سليمان حمد بن محمد بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، دمشق، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، (١/ ٣٥٦).

[2] صحيح البخاري، (٣٧٧٨).

[3] صحيح مسلم، (١٠٥٩).

ذكر الإمام البخاري في صحيحه هذا الحديث في (باب مناقب الأنصار)، وأما مسلم فذكره في (باب إعطاء المؤلفة قلوبهم علىٰ الإسلام، وتَصبُّر من قوِي إيمانه)، فهو في بيان فضل الأنصار، واختصاص النبي - ﷺ - بهم، ودورهم الكبير في نصرة الإسلام، ونصرة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وفي هذا الحديث قد أجمع كثيرٌ من شرَّاحه علىٰ وقوع القلب في قول أنسٍ - رضي الله عنه - علىٰ لسان الأنصار: (سيوفنا تقطر من دماء قريش أو من دمائهم)، بل إن بعضهم قد ذكر أثر وقوع القلب في دلالة الحديث وبلاغته؛ ولذا سأكتفي هنا في البيان بذكر أقوال أولئك العلماء علىٰ النحو الآتي:

١- قال شمس الدين الكرماني (٧٨٦هـ): "قوله: (سيوفنا تقطر من دمائهم) من باب القلب نحو عرضت الناقة علىٰ الحوض"[1].

٢- قال أبو عبد الله العسقلاني (٨٣١هـ): "(سيوفنا تقطر) أي: دماؤهم تقطرُ من سيوفنا، فهو من باب القلب، كعرضتُ الناقة علىٰ الحوض"[2].

٣- قال ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ): "سيوفنا تقطر من دمائهم هو من القلب، والأصل: ودماؤهم تقطر من سيوفنا، ويحتمل أن يكون (مِن) بمعنىٰ (الباء الموحدة)، وبالغ في جعل الدم قطر السيوف"[3].

---

[1] الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، (١٥/ ٣٤).

[2] اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم العسقلاني، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولىٰ، (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)، (١٠/ ٣٤٥).

[3] فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، (١٣٧٩هـ)، (٧/ ١١١).

٤- قال بدر الدين العيني (٨٥٥ه): "قوله: (إن سيوفنا تقطر من دماء قريش) فيه من أنواع البديع القلب نحو: عرضتُ الناقة علىٰ الحوض، والأصل: دماؤهم تقطر من سيوفنا"[١].

٥- قال أحمد الكوراني (٨٩٣ه): "(وسيوفنا تقطر من دمائهم) فيه قلبٌ للمبالغة، وأصله تقطر دماؤهم من سيوفنا"[٢]، وفي موضعٍ ثانٍ قال: "(إن سيوفنا تقطر من دماء قريش) أصله: إن دماء قريشٍ تقطر من سيوفنا، وفي القلب مبالغةٌ حسنة، فإن أكثر صناديد قريشٍ قُتِلِ علىٰ يد الأنصار"[٣]، وفي موضعٍ آخر قال: "(وسيوفنا تقطر من دمائهم) كأن الظاهر: ودماؤهم تقطر من سيوفنا لكن قَلَبه مبالغة"[٤].

٦- قال أبو العباس أحمد القسطلاني (٩٢٣ه): "(قول الأنصار: والله إن هذا الإعطاء لهو العجب إن سيوفنا لتقطر من دماء قريش) حال مقررة لجهة الإشكال أي ودماؤهم تقطر من سيوفنا فهو من باب القلب نحو: عرضت الناقة علىٰ الحوض قال:

---

[١] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢١ه/ ٢٠٠١م)، (١٦/ ٣٥٢).

[٢] الكوثر الجاري إلىٰ رياض أحاديث البخاري، لأحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، (٦/ ١٢٧).

[٣] المصدر السابق، (٧/ ٧).

[٤] المصادر السابق، (٧/ ٣٢٣).

لنا الجَفَاتُ الغُرُّ يَلْمعْنَ في الضُّحَىٰ وأسيافُنا يَقْطُرنَ من نَجْدَةٍ دَمَا[1]

والمعنىٰ أن سيوفنا من كثرة ما أصابها من دمائهم تقطر"[2]، وفي موضعٍ آخر قال: "(وسيوفنا تقطر من دمائهم) جملة وسيوفنا حالٌ مقرِّرةٌ لجهة الإشكال، وهي من باب قولهم: عرضتُ الناقة علىٰ الحوض"[3].

٧- قال نور الدين الهَروي (١٠١٤هـ): "قولهم: وسيوفنا تقطر من دمائهم من باب قول العرب: عرضتُ الناقة علىٰ الحوض. اهـ. ولا يبعُد أن يكون التقدير، وسيوفنا باعتبار ما عليها تَقْطُر من دمائهم، وهو إشعارٌ بقُرب قتلهم كفار قريش، وإيماءٌ إلىٰ أنهم أولىٰ بزيادة البِّر، فالجملة حالٌ مُقرِّرةٌ لجهة الإشكال"[4].

وفي ظلّ تلك الأقوال يكون السِّر البلاغي وراء القلب في قول الأنصار: (سيوفنا تقطر من دمائهم) المبالغة في وصف شجاعتهم، وكثرة عددهم، وحروبهم، وقتلهم لصناديد قريش، حتىٰ إن سيوفهم أثناء الحرب لا تنشف من دمائهم؛ بسبب كثرة ما أثخنوهم بالجِراح.

---

[1] البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه.

ديوان حسان بن ثابت، تحقيق الدكتور: وليد عرفات، دار صادر، بيروت، (٢٠٠٦)، (١/ ٣٧)

[2] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لشهاب الدين أبي العباس أحمد القسطلاني، ضبطه وصححه: محمد بن عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، (٨/ ٢٥٥).

[3] المصدر السابق، (٩/ ٣١١).

[4] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، تحقق الشيخ: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، (١١/ ٣٥٨).

الحديث السادس:

عن ابن عمر – ﷺ – أن رسول الله – ﷺ – قال: "إذا مات أحدكم **عُرِضَ علىٰ مَقْعده** بالغَداة والعَشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدُك حتىٰ يَبعثَك الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة"[1].

إذا مات الإنسان وقبل مبعثه وحسابه يوم القيامة يُعرَض عليه مكانان من الجنة أو النار كل يوم في أول النهار وآخره، إن كان من أهل الجنة فإن مقعده الذي في الجنة يُعرَض عليه، وإن كان من أهل النار فإن مقعده الذي في النار يُعرَض عليه[2].

قوله عليه الصلاة والسلام: "عُرِض علىٰ مقعده" فيه قلب، والأصل: عُرِض عليه مقعده، نحو قولهم: عرضتُ الناقة علىٰ الحوض، والأصل: عرضتُ الحوض علىٰ الناقة[3]، قال السندي في حاشيته: "عُرِض علىٰ مقعده هو من باب القلب، والأصل عُرِض عليه مقعده كما في بعض الروايات، ومثله في القلب قوله تعالىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ (غافر ٤٦)"[4]، وقال ابن عاشور – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾: "العرض حقيقته: إظهار شيءٍ لمن يراه لترغيب أو لتحذير، وهو

---

[1] سنن ابن ماجه، (٤٢٧٠).

[2] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (٢٣/ ٩٧).

[3] الكواكب الدَّراري في شرح صحيح البخاري، (٢٣/ ٢٩).

[4] ينظر: حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه المسمىٰ كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، لنور الدين محمد بن عبد الهادي السندي، دار الفكر، الطبعة الثانية، (٢/ ٥٦٩).

يتعدّىٰ إلىٰ الشيء المظهر بنفسه وإلىٰ من يُظهِر لأجله بحرف علىٰ، وهذا يقتضي أن المعروض عليه لا يكون إلا من يعقل، ومنزّلًا منزلة من يعقل"[1].

فالعرض في أصله أن يكون علىٰ الشيء الذي له إدراك، فيُؤتىٰ بالمعروض إلىٰ المعروض عليه، أو بالمظروف إلىٰ الظرف؛ لأن من خصائص المعروض عليه أن له اختيارًا، يقبل الشيء أو يرفضه، بخلاف المعروض، فليس له اختيارًا، وعلىٰ ذلك فقوله ﷺ: "عُرِض علىٰ مقعده" فيه قلب؛ لأن العبد هو الظرف، والمقعد هو المظروف، وكان من المناسب علىٰ الأصل في الظاهر أن يُنقل المعروض وهو المقعد إلىٰ المعروض عليه وهو العبد، فيقال: عُرِض عليه مقعده، كنقل الحوض إلىٰ الناقة وليس العكس، ولكن قُلب الكلام لاعتبار بياني، وهو بابٌ من التوسّع والتصرّف في الكلام، والتجوّز في الاستعمال؛ مبالغةً في تقريب الجنة أو النار من خلال عرضها علىٰ العبد، والكشف له عنها حتىٰ يرىٰ صورتها ماثلةً أمامه كل يوم أول النهار وآخره؛ ومبالغةً في تنعيم من هو من أهل الجنة، وتعذيب من هو من أهل النار؛ فيعمّ علىٰ المؤمن البِشر والطمأنينة والفرح والسرور، وعلىٰ الكافر والعاصي الخوف والذُّل والهوان، والحسرة والندامة، والقلق والهم؛ وذلك لمعاينتهما ما أعدّه الله لهما، وانتظارهما ذلك الجزاء إلىٰ يوم القيامة، فذلك النعيم وتلك العقوبة تحل بالمعروض عليه كل يوم مرةً في الصباح، وأخرىٰ في المساء عن بُعد، بينما تكون مستمرةً دون انقطاع في يوم القيامة عن قرب.

---

[1] التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، (١٩٨٤هـ)، (٢٤/ ١٥٨).

الحديث السابع:

عن سعيد بن جُبَير، قال: كنتُ مع ابن عمرَ حين أصابه سِنَانُ الرُّمْحِ في أَخْمَصِ قدمِه، فَلَزِقَتْ قدَمُهُ بالرِّكاب، فنَزلْتُ، **فَنَزَعْتُهَا** وذلك بِمِنىٰ، فبلَغَ الحجَّاجَ فجعَل يَعُودُه، فقال الحجَّاج: لَو نَعْلَمُ مَنْ أصابك، فقال ابن عمر: أنتَ أَصَبْتَني، قال: وكيف؟ قال: حَمَلْتَ السِّلاحَ في يومٍ لَمْ يكنْ يُحْمَلُ فيه، وأَدْخَلْتَ السِّلاح الحرم ولم يَكُنِ السِّلاحُ يُدْخَلُ الحرم"[1].

يُفيد هذا الحديث النهي عن حمل السلاح يوم عيد الأضحىٰ، وفي الحرَم، وموطن الشاهد فيه قول الراوي: (فنزعتُها)، واختلف شرّاح الحديث في عود (هاء) الضمير المؤنث؛ لأن الذي أصاب قدمه مذكَّر وهو سِنُّ الرُّمح، فالأصل أنه يعود إليه، فيقول: (فنزعتُه)، لكن الضمير جاء بصيغة التأنيث، ومن أجل ذلك قدّم كثيرٌ من العلماء عددًا من الاحتمالات في تقدير المعنىٰ الناشئ من مجيء الضمير بصيغة التأنيث، ومن تلك التقديرات التي ذكروها أن يكون التركيب قد جاء بصيغة القلب، ومن أوائل من ذكر تلك الاحتمالات لتقدير المعنىٰ شمس الدين الكرماني حيث قال: "قوله: (فنزعتها) الضمير راجعٌ إلىٰ السِّنان إما باعتبار السلاح وهو مؤنث، وإما باعتبار أنها حديدة، أو راجعٌ إلىٰ القَدَم فهو من باب القلب، كما يقال أدخلت الخُفَّ في الرِّجل"[2]، وعلىٰ ذلك الرأي استند عليه كثيرٌ من شرَّاح الحديث في تقديرهم للضمير المؤنث، ومنهم بدر الدِّين العيني حيث يقول: "قوله: (فنزعتها)، أي: فنزعت السنان، وإنما أنَّث الضمير إما باعتبار

---

[1] صحيح البخاري، (٩٦٦).

[2] الكواكب الدَّراري في شرح صحيح البخاري، (٦/ ٧١).

السلاح لأنه مؤنث، وإما باعتبار أنها حديدة، أو يكون الضمير راجعًا إلىٰ: القدم، فيكون من باب القلب كما يقال: أدخلت الخف في الرجل"[1].

وتلك الاحتمالات الثلاث لعود الضمير المؤنث مقبولة، فالأوَّلان عائدان إلىٰ سنّ الرمح إما باعتبار استخدامه وهو كونه من الأسلحة، وإما باعتبار أصله وما صُنِع منه وهو كونه حديدة، وبذلك يكون مجيء الضمير بصيغة التأنيث صحيحًا؛ لكونه قد عاد إلىٰ الأصل المقصود وهو سنُّ الرُّمح، وأما الاحتمال الثالث - والذي يعنينا من تلك الاحتمالات - وهو أن يكون الضمير عائدًا إلىٰ القدَم باعتبار أن في الأسلوب قلبًا علىٰ أن أصل التركيب: (نزعتُ السِّنان من القدَم)، لكنه قلَب فقال: (نزعتُ القدَم من السِّنان)، والقول بالقلب هنا له وجهٌ من الصِّحة، فإن العرب قد قالوا: (أدخلتُ الخُفّ في الرِّجل)، والأصل (أدخلتُ الرّجل في الخُف)؛ لأن العادة أن يدخل المظروف في الظرف، لكنهم قلبوا الكلام، فأصبح الظرف - وهو الخف - داخلًا في المظروف - وهي الرّجل -، مما أعطىٰ الكلام دلالةً علىٰ تمكّن الخفّ من الرِّجل ودخوله فيها، كذلك الحال في قول ابن عمر - ﷺ - في الحديث، فإن القول بالقلب في وصف ما أصابه من سنّ الرّمح في قدمه تنشأ عنه المبالغة في تمكّن سنّ الرّمح من القدَم، ودخوله فيها، وهو يُعطي دلالةً لتأكيد إصابة الحجّاج له في قدمه بسنّ رُمحه.

الحديث الثامن:

عن أبي سلَمةَ أَنَّهُ سَمِعَ أبا هُرَيرة - ﷺ - عن النَّبِيّ - ﷺ - قال: "مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ في سبِيل اللهِ، دَعَاهُ خَزَنَةُ الجَنَّةِ، **كُلُّ خَزَنَةِ بَابٍ**: أَيْ فُلُ هَلُمَّ، قال أبو بَكرٍ:

---

[1] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (٦/ ٢٨٦)، وينظر:

يا رسُولَ اللهِ، ذَاكَ الَّذي لَا تَوَىٰ عليهِ، فقال النَّبِيُّ – ﷺ –:إِنِّي لَأَرْجُو أنْ تَكُونَ مِنْهُمْ"[1].

ظاهر هذا الحديث الشريف في بيان فضل النفقة في سبيل الله، وأن من أنفق صنفين أو نوعين من وجوه الخير لا يريد بها إلا وجه الله – ﷻ – فإن جزاءه أن تدعوه خزنة كل بابٍ من أبواب الجنة الثمانية للدخول منها[2].

وموطن القلب في الحديث هو في قوله عليه الصلاة والسلام: (كل خزنة باب)، إذ أصله: خزنة كل باب، قال شمس الدين الكرماني: "قوله (كل خزنة باب) لعله من باب القلب إذ أصله خزنة كل باب"[3]، وقال العيني: "قوله: (كل خزنة قال بعضهم: كأنه من المقلوب، قلت: لا حاجة إلىٰ قوله: كأنه، بل هو من المقلوب، إذ أصله: خزنة كل باب"[4].

وبلاغة القلب في الحديث تظهر أولًا من ابتداء التركيب بلفظة (كل)، واختيارها دون غيرها من الصيغ الدالة علىٰ العموم لكونها من أقوىٰ صيغ العموم في الدلالة عليه؛ لأن مادتها تقتضي الاستغراق والشمول، ولكونها تضاف إلىٰ النكرة والمعرفة، بخلاف صيغ العموم الأخرىٰ كجميع وما يتصرف منها كأجمع وجمعاء وأجمعين؛ فهي لا تضاف إلا إلىٰ المعرفة فقط[5].

---

[1] صحيح البخاري، (٢٨٤١)، صحيح مسلم، (١٠٢٧).

[2] ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (١٤/ ١٩٠).

[3] الكواكب الدَّراري في شرح صحيح البخاري، (١٢/ ١٣٠).

[4] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (١٤/ ١٩٠).

[5] شرح الكوكب المنير، لتقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثانية (١٤١٨هـ/ ١٩٩١م)، (٣/ ١٢٣-١٢٧).

وبلاغة أخرىٰ للقلب في الحديث تكمن في إضافة (كل) إلىٰ اسم نكرة (خزنة)؛ لتفيد المبالغة في بيان كثرة خزنة الجنة، وإظهار تعددهم، فكل بابٍ من أبواب الجنة له خزنة، فالتركيب بالقلب ودخول (كل) علىٰ الاسم النكرة صوّر لنا ما لن يصوّره لو جاء التركيب علىٰ الأصل في بيان كثرة بوّابي الجنة، والقاعدة الأصولية تقول: "إذا أضيف لفظ (كل) إلىٰ النكرة فهو لعموم أفرادها"[1].

الحديث التاسع:

عن أبي الأَسْوَدِ قال: "قُطِعَ علىٰ أهل المدينة بَعْثٌ فاكْتُتِبْتُ فِيه، فَلَقِيتُ عِكْرِمَة فأخْبَرتُه، فَنَهَانِي أَشَدَّ النَّهْي، ثُمَّ قال: أَخبرَنِي ابن عَبَّاسٍ أَنَّ أُناسًا مِنَ المسلِمِينَ كانُوا مع المشركين يُكَثِّرُون سَوَادَ المشركين علىٰ رسول الله - ﷺ - **فَيَأتِي السَّهْمُ فَيُرْمَىٰ** فَيُصِيبُ أحدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ أَوْ يَضْرِبُهُ فَيَقْتُلُهُ، فأنزَلَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ** ﴾ (النساء ٩٧)"[2].

جاء هذا الحديث في صحيح البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنه - في "باب مَن كَرِه أن يُكثِّر سواد الفِتن والظُّلم"، والشاهد فيه: وقوع المعطوف في موضع المعطوف عليه علىٰ سبيل القلب في قوله: (فيأتي السَّهم فيُرمَىٰ)، إذ الأصل: (يُرمَىٰ السَّهم فيأتي)، أي: أن السَّهم إذا رُمِي فإنه يأتي بإصابة أحد المسلمين الذين خرجوا مع المشركين، قال شمس الدين الكرماني: "قوله: (فيُرمَىٰ) فإن قلتَ: المعنىٰ علىٰ أنَّ تَقدُّم لفظ فيُرمَىٰ علىٰ فيأتي السهم؛ إذ الإتيان بعد الرمي،

---

[1] شرح التلويح علىٰ التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١/ ١٠٨).

[2] صحيح البخاري، (٧٠٨٥).

قلتُ: هو من باب القلب"[1]، والملمح البلاغي الذي يستفاد من القلب هنا المبالغة في الوصف، والتأكيد علىٰ أن السهم قد تحقق هدفه، فأصاب مراده، والله أعلم.

الحديث العاشر:

عن أبي هريرة – ﷺ – قال: قال رسول الله – ﷺ –: "**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِم كُفْرٌ**: الطَّعْنُ فِي النَّسَب، والنِّيَاحَةُ علىٰ الميّت"[2].

قال محيي الدين النووي – رحمه الله – في معنىٰ الحديث: "فيه أقوال: أصحها أن معناه هما من أعمال الكفار وأخلاق الجاهلية، والثاني أنه يؤدي إلىٰ الكفر، والثالث أنه كفر النعمة والإحسان، والرابع أن ذلك في المستحل، وفي هذا الحديث تغليظ تحريم الطعن في النسب والنياحة، وقد جاء في كل واحدٍ منهما نصوصٌ معروفة والله أعلم)[3].

وقال المنّاوي – رحمه الله –: "(هما بهم كفر) يعني هم بهما كفر فهو من باب القلب أو الاتساع كما في شرح الأحكام، والمراد أنهما من أعمال الكفار لا من خصال الأبرار، أو المراد كفر النعمة، أو سمي ذلك كفرًا تغليظًا وزجرًا"[4].

وبناءً علىٰ ما سبق ذكره في معنىٰ الحديث فالأصل في قوله – عليه الصلاة والسلام –: "هما بهم كفر" أن يقال: (هم بهما كفر)، لكن وقع قلب بين كلمتي (هما) و (هم)، والقلب في الكلام النبوي لا يقع إلا لقصدٍ بلاغي، وملمحٍ بياني،

---

[1] الكواكب الدَّراري في شرح صحيح البخاري، (٢٤/ ١٦٢)، وينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (٢٤/ ٢٩١).

[2] صحيح مسلم، (٦٧).

[3] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (٢/ ٥٧).

[4] فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلامة المحدِّث: محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، (١٣٩١ه/ ١٩٧٢م)، (١/ ١٥٠).

وذلك – والله أعلم – ليُعلم أن الطعن في النسب والنياحة علىٰ الميت ما هما إلا من أعمال الكفار، وخِلال الجاهلية، وليسا من أعمال المسلمين، ولا من خِلالهم، وحتىٰ لا يُعتقد أن مَن فعَلهما فقد خرج من الملَّة، وكَفرَ كفرًا أكبر؛ لأنه ليس من قام بشعبةٍ من شُعب الكفر فإنه يصبح كافرًا، كما أنه ليس من قام بشعبةٍ من شُعب الإسلام أصبح مسلمًا، ومما يرجّح ذلك قوله – ﷺ –: "أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهنّ: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة"[1]، فقد رصد النبي – ﷺ – أُمورًا من أمور الجاهلية كانت ولا تزال عالقةً عند بعضِ الناس يأتون بها، فَحذَّرنا منها، وبيّن أنَّ مَن أَتىٰ بواحدةٍ منها فقد أَتىٰ بإحدىٰ الخِلال الجاهلية فيلزمه تركها فقط، وهذا يدل علىٰ أن من عملها فإنه لا يكفر كفرًا أكبر مخرِجًا من الملّة والله أعلم، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "قوله: (هما بهم) أي هاتان الخصلتان هما كفرٌ قائمٌ بالناس، فنفس الخصلتين كفر، حيث كانتا من أعمال الكفر، وهما قائمتان بالناس، لكن ليس كل من قام به شعبة من شُعب الكفر يصير بها كافرًا الكفر المطلق حتىٰ تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شُعب الإيمان يصير بها مؤمنًا حتىٰ يقوم به أصل الإيمان وحقيقته، وفرق بين الكفر المعرَّف باللام كما في قوله – ﷺ – (ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة)[2]، وبين كفر منكَرٌ في الإثبات"[3].

---

[1] صحيح مسلم، (٦٦).

[2] صحيح مسلم، (٦٦).

[3] اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق أ.د. ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة السابعة، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، (١/ ٢٣٧).

الخاتمة

تناول هذا البحث أحد الأساليب البلاغية التي تخرج بالكلام عن مقتضىٰ ظاهره في الحديث النبوي وهو القلب، الدال علىٰ كمال بلاغة المتكلم، توصّل الباحث فيه إلىٰ ستةٍ وعشرين حديثًا نبويًّا وقع فيها قلب، منها ثلاثة عشر حديثًا جاء القلب في كلام النبي – عليه الصلاة والسلام –، والباقية في كلام الراوي أو صحابي آخر، وكانت عيّنة الدراسة والتحليل لستة أحاديث نبوية منها، مما ورد القلب في لفظ النبي – ﷺ –، وكان من نتائج هذا البحث وتوصياته ما يأتي:

١ – أن أسلوب القلب يعد واحدًا من الظواهر اللغوية، والأساليب البيانية التي شاعت في اللغة العربية، الدالة علىٰ سعتها.

٢– تنبّه علماء النحو والصرف والبلاغة لظاهرة القلب في اللغة العربية، فاعتنوا بها دراسةً وبحثًا، مع اختلافهم في تسميتها.

٣– أن القلب من الخصائص التعبيرية والأساليب البلاغية في القرآن الكريم، الدالة علىٰ إعجازه، وما وقوع القلب في الكلام النبوي إلا دليلٌ علىٰ وقوعه في كتاب الله؛ لأن بلاغته – ﷺ – مستمدّةٌ من بلاغة القرآن الكريم.

٤– وفرة أساليب القلب في الحديث النبوي الشريف، الدالة علىٰ كمال بلاغته – ﷺ –، ورجحان منطقه وبيانه علىٰ كل منطق وبيان.

٥– تعدد الأغراض البلاغية، والمقاصد البيانية، والمحاسن الجمالية لأسلوب القلب في الكلام النبوي الشريف.

٦– عناية شرّاح الحديث النبوي بالكشف عن أسلوب القلب في الكلام النبوي.

ومن هنا فإن هذا البحث ما هو إلا شمعةٌ مضيئةٌ بين يدي الباحثين في البلاغة، لاسيما المعتنين بالبلاغة النبوية، ودعوةٍ لهم إلىٰ إشباع البحث في دراسة أسلوب

القلب في كلام النبي – ﷺ –، مع العناية وتحري الصحيح والثابت منه عن النبي عليه الصلاة والسلام.

كما أدعو طلاب الدراسات العليا المهتمين بالبحث البلاغي إلىٰ دراسة أسلوب القلب في الشعر العربي، فهو منبعٌ مليء، وكنزٌ ثمين.

وبعد، فهذا جهدي، فما كان فيه من خيرٍ فمن توفيق الله – ﷻ –، وإن كان فيه من خللٍ أو نقصٍ فمني ومن الشيطان، وأسأل الله العفو والغفران عن كل زللٍ ونقصان، والحمد لله، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه.

ثبت المصادر والمراجع

١- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لشهاب الدين أبي العباس أحمد القسطلاني، ضبطه وصححه: محمد بن عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤١٦ه/ ١٩٩٦م).

٢-اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق أ.د. ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة السابعة، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

٣-الإنصاف في المصطلحات البلاغية المنفية من القرآن، أ.د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولىٰ، (١٤٣٧ه/ ٢٠١٦م).

٤-الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة.

٥-البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولىٰ، (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م).

٦-تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧-التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، (١٩٨٤هـ).

٨-تفسير البيضاوي، للقاضي أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، حققه وخرّج أحاديثه: محمد صبحي بن حسن حلّاق والدكتور: محمود أحمد الأطرش، دار الرشيد، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢١ه/ ٢٠٠٠م).

٩-جماليات القلب في البلاغة العربية، للأستاذ الدكتور: صالح بن سعيد الزهراني، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد التاسع عشر، جمادىٰ الأولىٰ، (١٤١٨ه).

١٠-جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، حققه وضبطه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.

١١-حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه المسمىٰ كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، لنور الدين محمد بن عبد الهادي السندي، دار الفكر، الطبعة الثانية.

١٢-حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي علىٰ تفسير البيضاوي، لشهاب الدين أحمد الخفاجي، الخفاجي، دار صادر، بيروت.

١٣-دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لمحمد بن علان بن إبراهيم البكري الشافعي، اعتنىٰ بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، (١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م).

١٤-ديوان حسان بن ثابت، تحقيق الدكتور: وليد عرفات، دار صادر، بيروت، (٢٠٠٦).

١٥-ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدَّم له الأستاذ: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤٠٧ه/ ١٩٨٧م).

١٦-سر الفصاحة، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

١٧-سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

١٨-سنن ابن ماجه، طبعة مُصَحَّحة بإشراف ومراجعة فضيلة الشيخ: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

١٩-سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، إشراف ومراجعة فضيلة الشيخ: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م).

٢٠-سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، إشراف ومراجعة فضيلة الشيخ: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م).

٢١-شرح التلويح علىٰ التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ.

٢٢-شرح الكوكب المنير، لتقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثانية (١٤١٨هـ/ ١٩٩١م).

٢٣-شروح التخليص، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤-الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لأبي الحسين أحمد بن فارس الرازي، تحقيق الدكتور: عمر فاروق الطبّاع، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤١٤ه/ ١٩٩٣م).

٢٥-صحيح ابن حبان، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤١٤ه/ ١٩٩٣م).

٢٦-صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، إشراف ومراجعة الشيخ: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، (١٤١٩ه/ ١٩٩٩م).

٢٧-صحيح سنن ابن ماجه، للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولىٰ، (١٤١٧ه/ ١٩٩٧م).

٢٨-صحيح سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢٣ه/ ٢٠٠٢م).

٢٩-صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، إشراف ومراجعة الشيخ: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، (١٤٢١ه/ ٢٠٠٠م).

٣٠-ظاهرة القلب المكاني في العربية، عللها وأدلتها وتفسيراتها وأنواعها، للدكتور: عبد الفتاح الحموز، دار عمَّار، عمَّان، الطبعة الأولىٰ، (١٤٠٦ه/ ١٩٨٦م).

٣١-ظاهرة القلب في الإعراب مفهومها، أنماطها، أثرها في معنىٰ التركيب، د. علي بن أحمد الكبيسي، ضمن بحوث مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، الدوحة، العدد السابع، (١٩٩٥م).

٣٢-علم البديع، للدكتور: بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الثانية، (١٤١٨ه/ ١٩٩٨م).

٣٣-علم المعاني، د. بسيوني فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، (١٤١٩ه/ ١٩٩٨م).

٣٤-عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢١ه/ ٢٠٠١م).

٣٥-غريب الحديث، لأبي سليمان حمد بن محمد بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، دمشق، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

٣٦-فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، (١٣٧٩ه).

٣٧-فتح الودود في شرح سنن أبي داود، لأبي الحسن السندي، تحقيق: محمد زكي الخولي، مكتبة أضواء المنار، المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).

٣٨-فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلامة المحدِّث: محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، (١٣٩١ه/ ١٩٧٢م).

٣٩-القلب عند البلاغيين والنحاة العرب، للأستاذ الدكتور: عيد محمد شبايك، دار حراء، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، (١٤١٩ه/ ١٩٩٨م).

٤٠-الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٤١-الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبَر الملقب بسيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، (١٤٠٨ه/ ١٩٨٨م).

٤٢-الكواكب الدَّراري في شرح صحيح البخاري، لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد، المعروف بـ(شمس الدين الكرماني)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠١ه/ ١٩٨١م).

٤٣-الكوثر الجاري إلىٰ رياض أحاديث البخاري، لأحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

٤٤-اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم العسقلاني، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولىٰ، (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).

٤٥-لسان العرب، ابن منظور، اعتنىٰ بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤١٩ه/ ١٩٩٩م).

٤٦-ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، دراسة وتحقيق الدكتور: أحمد محمد سليمان أبو رعد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولىٰ، (١٤٠٩ه/ ١٩٨٨م).

٤٧-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (١٤٢٠هـ).

٤٨-مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، تحقق الشيخ: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢٢ه/ ٢٠٠١م).

٤٩-المستدرك علىٰ الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤١١ه/ ١٩٩٠م).

٥٠-معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

٥١-معاني القرآن، لأبي زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولىٰ.

٥٢-مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م).

٥٣-منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لأبي الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٩٨٦م).

٥٤-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، (١٣٩٢ه).

٥٥-نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق الدكتور: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت.